بداية الهداية

لمعرفة دينك بأسلوب سهل وميسر

تفسير القرآن الكريم

الفاتحة – جزء تبارك – جزء عم

لأم تميم

الدكتورة/ عزة محمد

تقريظ

العلامة الشيخ/ مصطفى بن العدوي

دار ابن رجب

دار الفوائد

من إصدارات المؤلفة

- **الفقه الميسر** (٦ أجزاء) - مكتبة مكة - القاهرة - طنطا (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).

- **أمراض القلوب** - خمس وثلاثون مرضًا من أمراض القلوب وطرق علاجها - مكتبة مكة - القاهرة (ت: ٠١٢٢٣٤٨٩٨٥٣).

- **التعليقات الجلية على العقيدة السفارينية** - للإمام السفاريني (٢ جزء)- دار الآثار - القاهرة (ت: ٠٢٢٥١٢٥١٨٤).

- **مجموعة بداية الهداية** - صدر منها الأجزاء الثلاثة (أصول الإيمان - تفسير القرآن - فقه الحلال والحرام) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

- **الفتوحات الربانية في تفسير أسماء الله الحسنى** (صدر منه الجزء الأول) - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

- **عقائد الفرق الضالة وعقيدة الفرقة الناجية** - دار ابن رجب - القاهرة (ت: ٠١٢٢٢٣٦٨٠٠٢).

- **الدرر البهية** - بيان التوحيد الصحيح من الكتاب والسنة - مكتبة/ دار ابن الجوزي بالقاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).

- **المحجة البيضاء في بيان أهمية التمسك بالسنة وبيان البدع وأنواعها** - دار ابن الجوزي القاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).

- **محمد رسول الله ﷺ كأنك تراه** - دار ابن الجوزي القاهرة (ت: ٠٢٢٥٠٦١٦٢١ - ٠٢٢٥٠٦١٦٢٠).

- **بيان قدر الصحابة عند الله العظيم وضلال الشيعة الخاسرين** - مكتبة آل ياسر - القاهرة (ت: ٠١١١٢٤٥٨٤٤٤).

الموقع الرسمي لأم تميم

omtameem.com

الصفحة الرسمية لأم تميم على الفيسبوك

https://www.facebook.com/Om.Tameem.Dr.Azza.Mohamed

تقديم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد؛

فهذا كتاب «تفسير القرآن الكريم»، وهو الجزء الثاني من مجموعة «بداية الهداية» أعدته أختنا في الله أم تميم الدكتورة/ عزة محمد رشاد، ، حفظها الله وبارك في علمها وعملها وزوجها وذريتها، تيسيرًا على المبتدئين والمبتدئات في علم التفسير، وقد اعتنت فيه بصحة المادة وسلامتها، وكذا سلامة الأحاديث المستدل بها، كما راعت السهولة واليسر، وعن أختنا أم تميم -حفظها الله- فهي معروفة بالتدريس والتأليف منذ زمن، ولها مؤلفات عدة، والحمد لله نحسبها -ولا نزكيها على الله- سائرة على نهج أهل السنة والجماعة، أسأل الله أن يزيدها توفيقًا وسدادًا.

هذا؛ وقد اطلعت على قدر من هذا التفسير فألفيته -ولله الحمد- نافعًا، فأسأل الله أن ينفع بها وبعلمها، وصل اللهم على نبينا محمد وسلم.

والحمد لله رب العالمين.

كتبه

أبو عبد الله مصطفى بن العدوي

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعد؛ فلا يخفى أن القرآن كلام الله رب العالمين، أنزله على نبينا محمد ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام، فقد سمعه جبريل من الله تبارك وتعالى، وسمعه رسول الله ﷺ من جبريل.

وحفظ الله كتابه العزيز من التحريف، والتبديل، والتغيير، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر]، وقال: ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ٤٢﴾ [فصلت].

ومن رحمة الله بعباده أن أنزل لهم القرآن تبيانًا لكل شيء، ويسر لهم حفظه وتلاوته، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ﴾ [القمر]، وقيض لهم علماء ربانيين يفسرون للناس ما أشكل عليهم من معانيه؛ ليجمع لهم بين التلاوة والحفظ، الفهم الذي يحمل على العمل به، والتعبد بتلاوته، وهذه هي الغاية من القرآن.

فبالقرآن تحيا القلوب، وتستنير العقول، وتنشرح الصدور، فلا سعادة ولا راحة، ولا طمأنينة نفس، ولا سلامة قلب إلا بالتمسك بكتاب الله العزيز.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس]، وقال: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ولو أردت أن أبيِّن عظمة هذا الكتاب وما به من إعجاز وكنوز، وما يحصل لكل من شغل وقته به، وفنى عمره في حفظه وتدبره والعمل به، من الثواب الجزيل، والخير الكثير، والبركة في العمر والوقت- لتحمل ذلك مجلدات.

فمن أعظم البلاء الذي ابتُلي به كثيرٌ من المسلمين هجر القرآن العظيم، تلاوةً، وتفكرًا، وتدبرًا، وعملًا، فقد انشغل أكثر الناس بالشهوات، وإصلاح دنياهم، وغفلوا عن إصلاح أخراهم، فمرضت القلوب، وتشتت الأذهان، وأصابهم الاكتئاب والهم والغم، وفقدوا ما هجروا القرآن من أجله، وهو البحث عن السعادة.

فما أحوج المسلمين إلى العودة إلى كتاب ربهم، تلاوةً، وحفظًا، وفهمًا،

وعملًا.

ومن أجل ذلك كله أردت أن أضرب بسهم في هذا الباب الشريف، فقمت بتفسير بعض سور القرآن، وهي: (الفاتحة - جزء تبارك - جزء عم)، أما اختياري لهذه السور؛ لأن الفاتحة تُقرأ في كل ركعة في الصلاة، والمصلِّي يجب عليه أن يفهم معنى ما يقرأ في صلاته، وأما جزء تبارك وجز عمَّ، فلأن جُلَّ سور هذين الجزأين هي من السور التي نزلت على النبي ﷺ بمكة، وفيها الإيمان بالغيب وأمور الاعتقاد التي يجب على كل مسلم أن يتعلمها، ويعتقدها، وبها يزداد إيمان المؤمن.

وقد جمعت هذه السور في كتاب وسمته بـ «تفسير القرآن الكريم»، وهو الجزء الثاني من مجموعة «بداية الهداية» للمبتدئين لمعرفة أصول دينهم.

وقد حرصت أن يكون التفسير بأسلوب يسهل معه الفهم، معتمدةً على كتب التفسير المأثورة عن السلف؛ كـ«جامع البيان» للإمام ابن جرير الطبري، و«تفسير القرآن العظيم» لابن كثير، و«الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي، و«بدائع التفسير» لابن القيم، وهو جمع لما فسره -رحمه الله- في كتبه متفرقًا لجامعه الشيخ/ يسري محمد السيد، وكتاب «أضواء البيان» للشنقيطي، و«تيسير الكريم الرحمن» للسعدي، وغيرها.

مع الحرص على التزام منهج أهل السنة والجماعة عامة، وفي باب الاعتقاد والأسماء والصفات خاصة.

وأخيرًا؛ أسأل الله تعالى لشيخنا أبي عبد الله مصطفى بن العدوي حفظه الله

الصحة ودوام العافية في دينه ودنياه، فجزاه الله خيرًا على هذا التقديم الطيب للكتاب.

وختامًا؛ أسأل الله جل في علاه أن يتقبل مني هذا العمل، ويضع له القبول عند المسلمين، إنه هو البرُّ الرحيم.

وصل اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أم تميم

عزة بنت محمد رشاد بن حسن شاهين

الجمعة ١٥ ربيع الأول ١٤٤٠هـ

٢٣ نوفمبر ٢٠١٨م

سورة الفاتحة

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ .

سورة الفاتحة سُميت أم الكتاب، لأنه يُبدأ بكتابتها في المصاحف، ويُبدأ بقراءتها في الصلاة، وتُسمى السبع المثاني؛ لأنها تثنى في الصلاة، فتقرأ في كل ركعة وتسمى أم القرآن العظيم[١]، لاشتمالها على التوحيد -توحيد الله- والعبادة وغير ذلك.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾.

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ أبدأ قراءة القرآن، ولفظ «اسم» يشمل جميع الأسماء الحسنى لله تعالى، أي: أبتدئ قراءتي بكل اسم لله تعالى.

والبسملة، أي: بسم الله الرحمن الرحيم تضمنت ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى:

١- الله: أي المألوه المعبود المستحق لجميع أنواع العبادة لما له من صفات الجمال والكمال.

٢، ٣- الرحمن الرحيم: هما وصفان لله، واسمان من أسمائه الحسنى، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم؛ لأن الرحمن هو: ذو الرحمة الشاملة لجميع الخلق في الدنيا، وللمؤمنين في الآخرة، والرحيم: ذو الرحمة للمؤمنين يوم القيامة، وعلى هذا أكثر العلماء[٢].

واعلم أن من القواعد المتفق عليها بين سلف الأمة وأئمتها، الإيمان بأسماء الله وصفاته، وأحكام الصفات، فيؤمنون مثلًا بأن الله رحمن رحيم، ذو الرحمة التي اتصف بها، المتعلقة بالمرحوم، فالنعم كلها أثر من آثار

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٧٤) طبعة دار ابن رجب.

(٢) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٥)، وجامع البيان للطبري (١/ ٧٨-٧٩)، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٣٩).

رحمته، وهكذا في سائر الأسماء.

يُقال العليم: إنه عليم ذو علم يعلم به كل شيء، قديرٌ: ذو قدرة، يقدر على كل شيء.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ الثناء على الله بصفات الكمال وأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، فله الحمد كله ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إذ هو رب كل شيء وخالقه ومدبره، والعالمين: جمع عالم، وسمي عالم لأنه علم وعلامة على كل شيء سوى الله، فالله هو المربي لجميع العالمين، بإمداده لهم بالنعم الظاهرة والباطنة التي لو فقدوها ما استطاعوا البقاء في الدنيا، وهذه تربية عامة لجميع خلقه.

أما تربية الخاصة، فلأوليائه الصالحين السائرين على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم فيربيهم بالإيمان، ويوفقهم له، ويكمله لهم، ويدفع عنهم الصوارف التي تصرف قلوبهم عن الإيمان، والعوائق الحائلة بينهم وبينه، وهذه هي تربية التوفيق لكل خير، والعصمة من كل شر.

ولعل هذا المعنى هو السر في كون أكثر أدعية الأنبياء والمؤمنين بلفظ: «الرب»[1]، كقول آدم عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، وقال نوح: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح: ٢٨]، وقال أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وغيرهم من الأنبياء.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

ومن دعاء الصالحين في القرآن باسم الرب، قولهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾.

﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ ثناء على الله باسمين من أسمائه بعد حمده، ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ تمجيد لله الذي اتصف بصفات الملك التي من آثارها أنه يأمر وينهى، ويثيب الطائع ويعاقب العاصي، ويتصرف في ملكه كيف يشاء، وأضاف المُلك ليوم الدين -وهو يوم القيامة- لأنه يوم الحساب والجزاء، فيظهر للناس كمال ملكه وعدله وحكمته، وأنه الملك الحق، فيستوي اليوم ملوك الأرض والعبيد، لا مالك إلا هو جل جلاله[1].

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ ﴾.

نخصك وحدك بجميع أنواع العبادة، ولا نشرك بك أحدًا، ونطلب منك وحدك العون على القيام بما أمرتنا به من فعل الأوامر، وترك النواهي ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ اهدنا ودُلنا ووفقنا للطريق المستقيم الواضح الموصل إليك، وهو الإسلام واتباع قرآن ربنا وسنة نبينا ﷺ.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾.

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴿ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ ﴾ الذي عرفوا الحق وتركوه عنادًا واستكبارًا؛ كاليهود، ومن سلك طريقهم، ﴿ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ الذين ضلوا طريق الحق لجهلهم وتفريطهم في طلب العلم

(١) انظر: المصدر السابق.

الذي يهديهم لمعرفة الحق، كالنصارى ومن شابههم، والتحذير من العناد وعدم العمل بما علمنا من الحق كاليهود، ولنحذر من التقصير والتفريط في معرفة ديننا كالنصارى.

* ولما كان سؤال الهداية أعظم، وأهم طلب يسعى العاقل لتحصيله، علَّم الله تعالى عباده كيف يسألوه فأمرهم أن يحمدوه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ويثنوا عليه بأسمائه الحسنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ويمجدوه ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ ثم الإقرار من العبد أنه يعبد الله وحده ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ويستعين به وحده ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ كل ذلك وسائل توصل العبد إلى طلبه، وهو الهداية ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾، ولو حضر القلب مع سؤال الهداية لاستجاب الله تعالى[١].

فالحاجة إلى الهدى أعظم من الحاجة إلى النصر والرزق؛ بل لا نسبة بينهما، لأنه إذا هُدى كان من المتقين ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣][٢].

وعلى قدر ثبوت قدم العبد على هذا الصراط -أي: طريق الحق وطاعة الله ورسوله- على قدر ثبوت قدمه على الصراط الذي نُصب فوق جهنم ليمر عليه جميع الناس، فالجزاء من جنس العمل.

تم بحمد الله تفسير سورة «الفاتحة»

---

(١) انظر: تفسير ابن القيم (١/ ٣٦) بتصرف.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (١/ ١١٦) بتصرف.

سورة الملك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ
وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ
سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ
تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ
حَسِيرٌ ۝٤ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ
وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ۝٥ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ
ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝٨ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ
جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ
۝٩ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟
بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ
لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝١٢ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ
ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٤ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ۝١٥

ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ
أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ
﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ
فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ
﴿١٩﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٞ لَّكُمۡ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا
فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ
وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمۡشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجۡهِهِۦٓ أَهۡدَىٰٓ أَمَّن يَمۡشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٖ
مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٢٢﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۖ
قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ
أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقِيلَ
هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَهۡلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ
أَوۡ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ قُلۡ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ
ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيۡهِ تَوَكَّلۡنَاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٢٩﴾ قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ
أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ ﴿٣٠﴾ ۞.

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

تعاظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، ومن عظمته أنه بيده ملك العالم، فهو يتصرف في جميع المخلوقات بما شاء فمن كمال قدرته وقوته أنه يقدر على كل شيء[1].

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾.

الذي خلق الموت، وخلق الحياة؛ ليختبركم أيها الناس، أيكم أحسن عملًا، وحُسن العمل ما كان خالصًا لله -لا رياء فيه لا من أجل دنيا- وصوابًا أي: موافقٌ للسنة، كما كان يعمله رسول الله ﷺ ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي له العزة كلها فلا يغلبه أحد، ﴿ٱلْغَفُورُ﴾ لذنوب المذنبين -وإن كانت ملء الأرض- إذا تابوا وعادوا إلى ربهم.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣﴾.

الذي خلق سبع سموات كل سماء طبقة فوق ما قبلها بينهن مسافات، ولسن طبقة واحدة، خلقها في غاية الحسن والجمال والإتقان، ومن المحال أن يُرى في خلق الله خلل، ولا عيب ولا نقص.

فأعد النظر إلى السماء مرة أخرى نظرة المعتبر، ما ترى من تشقق أو عيبًا أو نقصًا أو خللًا على عظم حجم السماء؟!

﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝٤﴾.

ثم ارجع البصر للنظر مرة بعد مرة، والمراد كثرة تكرار التأمل في السماء

(١) انظر: تفسير السعدي (ص: ٨٧٥)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٧/ ١٤٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٨١).

مرة بعد مرة، فلو أنك كررت النظر في السماء مهما كررت لرجع إليك بصرك وهو عاجز عن أن يرى عيبًا أو خللًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليل متعب[١].

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾.

ثم ذكر سبحانه وتعالى حُسن السماء، ولبيان جمالها وحالها زينها بمصابيح، وهي النجوم المضيئة في السماء الدنيا التي نراها وهي أقرب سماء إلى الأرض، ولولا تلك النجوم؛ لكانت السماء مظلمة لا حسن فيها ولا جمال، وهي أيضًا يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر، ﴿وَجَعَلْنَٰهَا﴾ أي: النجوم ﴿رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ الذين يريدون استراق الأخبار من السماء، فمن أراد ذلك من الشياطين اتبعته هذه الشهب -وهي قطعة من النجوم- فتحرقهم، فالنجوم عذاب للشياطين في الدنيا، وأعد الله لهم عذاب الحريق في الآخرة؛ لأنهم تمردوا على الله، وأضلوا عباده[٢].

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾﴾.

وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم يوم القيامة وبئس المرجع والمستقر إذا ألقوا وطرحوا في جهنم سمعوا لها صوتًا، وهي تغلي بهم، كما يغلي الحب في الماء الكثير.

---

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٨٧٥)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٠٠).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٨٢) وتفسير السعدي (ص ٨٧٥)، وأضواء البيان (٨/ ٢٣١-٢٣٢)، وجامع البيان (٢٩/ ٦).

﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

تكاد ينفصل أجزاؤها عن بعض من الغيظ وشدة الغضب على من يدخلها، وكلما رُميت فيها دفعة من الكفار والعصاة، سألتهم الملائكة المسئولون عن النار سؤال تبكيت وتوبيخ وإهانة: ألم يأتكم في الدنيا رسول من عند الله ينذركم ويخوفكم من عذاب الله؟! وهذه الآية تدل على أن الله لا يعذب بالنار أحدًا إلا بعد أن ينذره في الدنيا...[١].

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾﴾.

قال المكذبون: بلى، قد جاءنا رسول يخوفنا من عذاب الله فكذبناه وقلنا له: ما أنزل الله إلا وحيًا، وأنتم أيها الرسل في ضلال؛ بل جعلوه ضلالًا كبيرًا[٢].

ثم ندموا حين رأوا العذاب، فقال الكفار ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ سماع ينتفع به، ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ عقل يميز الحق والباطل، ويرشدنا إلى اتباع الرسل ما كنا من أصحاب السعير.

وقدم السمع على العقل؛ لأن الإنسان يسمع أولًا، ثم يفكر بعقله ويتدبر ما سمعه.

﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

فاعترفوا وأقروا على أنفسهم بالكفر والتكذيب يوم القيامة، حيث لا ينفع

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٧٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٨٤)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٧).

(٢) المصدر السابق.

الندم ولا الإقرار ﴿فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: أن الله أبعدهم من رحمته وكرامته، فالعذاب والهوان لأهل النار.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾.

لما ذكر الله حال الأشقياء الفجار أصحاب النار، ذكر حال السعداء الذين يخافون الله في خلواتهم في الحالة التي لا يراهم فيها إلا الله؛ لأنهم يعلمون أنه مطلع عليهم مهما استتروا، ومخافتهم من الله تجنبهم كل سوء، فلا يعصون ولا يقصرون فيما أمروا به، هؤلاء لهم من الله مغفرة ووقاية من عذاب الجحيم، ويجازيهم بالثواب العظيم وهو الجنة.

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾﴾.

الله تعالى يُخبر عباده بسعة علمه، وأنهم إذا أخفوا كلامهم أو أعلنوه سواء عند الله، لا تخفى عليه خافية، لأنه عليم بضمائرهم وبما يخطر في قلوبهم، يعلم ما في الصدور من النيات والإرادات، فكيف بالأقوال التي تسمع والأفعال التي ترى[1].

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

ثم بين لعباده بدليل عقلي يدل على علمه، فهو الذي خلق الخلق كلهم لابد أنه يعلم السر وأخفى من السر، وهو اللطيف بعباده، الخبير حتى أدرك ما في الضمائر من الخبايا والخفايا، ومن لطفه أنه يسوق لعبده التقي أعمال البر والإحسان من حيث لا يشعر ويعصمه من الشر من حيث لا يحتسب، ويرقيه إلى أعلى المراتب بأسباب لا تخطر على باله، حتى أنه يبتليه بما

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٩)، وتفسير السعدي (ص ٨٧٦)، وأضواء البيان للشنقيطي (٨/ ٢٣٤-٢٣٦).

يكره ليكفر عنه سيئاته ويصل بذلك إلى الدرجات العلى في الجنة.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾.

وهو الذي جعل لكم الأرض ﴿ذَلُولًا﴾ سهلة لينة للسكن عليها ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ فسيروا في جوانبها وأطرافها ﴿وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ﴾ لتحصيل الرزق الذي أعده الله لكم في هذه الأرض ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ تبعثون بعد موتكم للحساب والجزاء[1].

ونبَّه بقوله: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ على أن هذه الدنيا معبرًا إلى الآخرة فلا يصح أن تتخذها وطنًا ومستقرًّا بل العاقل يتزود منها بالأعمال الصالحة لدار المستقر في الآخرة.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾﴾.

أأمنتم الله العلي الأعلى المستوي على عرشه فوق السماوات أن يشق الأرض من تحتكم فتضطرب بكم حتى تهلككم بعد أن كانت مستقرة؟!

﴿أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾.

أم أمنتم الله الذي في السماء أن يعاقبكم فيرسل عليكم ﴿حَاصِبًا﴾ حجارة من السماء انتقامًا منكم بسبب ذنوبكم؟! فلا تحسبوا أنكم في أمن من عقاب الله، وستعلمون حين تشاهدون العذاب والعقاب إنذاري لكم، ولن ينفعكم الإنذار بعد مشاهدة العقاب.

---

(١) انظر: مختصر تفسير القرآن (ص: ٥٦٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٧٦-٨٧٧).

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

ولقد كذب الأمم السابقة مع كونهم أشد من كفار قريش قوة وعددًا وعُدة، فكيف كان إنكاري عليهم وعقابي لهم عقابًا عظيمًا أليمًا، وهو تسلية للرسول ﷺ وتهديد لقومه المشركين[1].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

وهذا عتاب من الله تعالى، وحث على النظر إلى حال الطير فوقهم، فتارة تصف وتنشر أجنحتها، وتارة تجمعها وتقبضها، وما يمسكهن في الجو إلا الرحمن سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ فهو المدبر لعباده، ولجميع مخلوقاته ما يليق بهم وينفعهم.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾.

ثم بكت تعالى المشركين، بأن بين لهم أن لا جند لكم أيها الكفار يمنعكم من عذاب الله إن أراد بكم سوءًا، فأنتم أيها المشركون مخدوعون مغرورون حين ظننتم أن لكم ناصرًا ينصركم غير الرحمن، وبعد أن علموا ذلك استمروا في شركهم، غرورًا منهم وسفهًا.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾.

الرزق كله بيد الله تعالى، ولا أحد يرزقكم، فإن أمسك الله عنكم رزقه، فمن يرسله لكم؟!

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٠٧-٢٠٨)، وجامع البيان (٢٩/ ١٠-١١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٨٧)، وأضواء البيان (٨/ ٢٤٠-٢٤١).

والحاصل: أنهم لم ينتفعوا بهذه الآيات ﴿بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ استمروا في عتوهم وقسوتهم، والبعد عن الحق.

﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾.

أي الرجلين أهدى؟ رجل مشرك تائهًا في الضلال ﴿يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ﴾ يمشي واقعًا على وجهه قد انتكس فصار الحق عنده باطلًا، والباطل حقًّا؟ أم المؤمن العالم بالحق به الذي يمشي ﴿سَوِيًّا﴾ معتدلًا على صراط مستقيم واضح في أقواله وأعماله وجميع أحواله[1]؟!!

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

قل يا أيها الرسول إن الله سبحانه هو المستحق العبادة وحده، فهو الذي ﴿أَنشَأَكُمْ﴾ أي: خلقكم من العدم من غير مساعد ولا معاون له، وجعل لكم أسماعًا تسمعون بها، وأبصارًا تبصرون بها، وقلوبًا تعقلون بها، قليلًا ما تشكرون النعم باستعمالها فيما خلقت له.

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

قل يا أيها الرسول إن الله هو الذي خلقكم ونشركم في أقطار الأرض مع اختلاف لغاتكم وألوانكم وأشكالكم وصوركم، وإليه وحده ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة للحساب.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

ثم قال مُخبرًا عن الكفار المنكرين للحساب والمعاد، المستبعدين

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٠٨-٢١٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٧٧)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١١-١٤).

وقوعه، متى يقع هذا الذي تخبرنا به من البعث والحشر والحساب، وإن كنت أنت وأصحابك يا محمد، من الصادقين في الإنذار والترهيب من يوم الحساب، أخبرنا بمعاد هذا اليوم.

﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾.

قل لهم علم الساعة عند الله وحده، لا يعلم متى تقع إلا هو سبحانه وتعالى، وإنما أنا نذير واضح، عليَّ البلاغ وقد أديت ما عليّ من إنذاري لكم.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

فإذا قامت القيامة، وكان يوم الجزاء، ورأوا العذاب قريبًا منهم، ساءهم ذلك وأفظعهم، فتغيرت لذلك وجوههم، وقيل لهم: هذا الذي كنتم تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾.

كان كفار مكة يتربصون بالنبي ﷺ، ويتمنون له الموت، فأمر أن يقول لهم: إن حصلت لكم أمانيكم وأهلكني الله ومن معي من المؤمنين، أو رحمنا بتأجيل آجالنا وانتصارنا، فمن يُجيركم وينقذكم أيها الكافرون من عذاب الله الأليم[1].

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ١٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢١٠)، وابن كثير (١٤/ ٨٨-٨٩).

﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ ﴾.

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يخبر عن حاله وحال أتباعه ما يتبين لكل أحد هداهم وتقواهم ﴿ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ وحده ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ اعتمدنا في جميع أمورنا، وستعلمون من هو في ضلال واضح قد انحرف عن طريق الحق.

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾ ﴾.

ثم ختم السورة الكريمة بالإخبار عن انفراده بالنعم، خصوصًا بالماء الذي جعل منه كل شيء حي، فإذا أصبح ماؤكم ذاهبًا في الأرض فمن يأتيكم بماء سائح جار على وجه الأرض، تشربون منه، وتسقون أنعامكم وأشجاركم، والاستفهام في الآية بمعنى النفي، أي: لا يقدر أحد على ذلك إلا الله تعالى[1].

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة «الملك»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤ ٨٩-٩١) وتفسير السعدي (ص ٨٨٨)، ومختصر تفسير القرآن (ص ٥٦٤)، ومحاسن التأويل للقاسمي (٧/ ١٥٥)، وأضواء البيان للشنقيطي (٨/ ٢٣٣).

سورة القلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ
﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ
﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ
مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ
﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى
ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ
﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ
كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾
فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ
حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ
أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾
فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ

أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجۡعَلُ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ كَٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ لَكُمۡ كِتَٰبٞ فِيهِ تَدۡرُسُونَ
﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمۡ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمۡ لَكُمۡ أَيۡمَٰنٌ عَلَيۡنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۙ إِنَّ
لَكُمۡ لَمَا تَحۡكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلۡهُمۡ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَآءُ فَلۡيَأۡتُواْ
بِشُرَكَآئِهِمۡ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ
فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ وَقَدۡ كَانُواْ يُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ
وَهُمۡ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرۡنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِۖ سَنَسۡتَدۡرِجُهُمۡ مِّنۡ حَيۡثُ
لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمۡلِي لَهُمۡۚ إِنَّ كَيۡدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ
مُّثۡقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن
كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾ لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ
بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴿٤٩﴾ فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ
إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ .

﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ١﴾

﴿نٓ﴾، ﴿قٓ﴾، ﴿صٓ﴾ وغيرها من حروف الهجاء التي يفتتح به الرب -سبحانه- بعض السور، ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف، وعظم قدرها وجلالتها، إذ هي مباني كلامه وكتبه التي تكلم -سبحانه- بها، وأنزلها على رسله.

وفي هذه الآية يقسم الله تعالى بالقلم، وهو اسم جنس شامل للأقلام التي تكتب بها أنواع العلوم، وذلك لأن القلم يكتبون به أنواع الكلام، من آيات الله العظيمة التي تستحق أن يقسم الله بها على براءة نبيه محمد ﷺ مما نسب إليه أعداءه، ولذلك قال[1]:

﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ٢﴾.

ثم ذكر المقسم عليه، وهو نفي الجنون عن نبيه ﷺ الذي نسبه إليه أعداؤه من الكفار، كأنه قيل: أنت بريء من الجنون بنعمة ربك وإحسانه إليك، حيث منَّ الله عليك بالعقل الكامل، والكلام الفصل الذي هو أحسن ما كتبت الأقلام[2].

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ٣﴾.

بل لك الأجر العظيم، والثواب الجزيل على تحملك المشقة والتعب لتبلغ رسالة الله إلى الخلق، والصبر على أذى المشركين، وهذا الأجر

---

(١) انظر: بدائع التفسير لابن القيم (٤/ ٤٩٩)، وتيسير الكريم (ص: ٨٧٨).

(٢) انظر: محاسن التأويل (٧/ ١٠٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٩٧)، وجامع البيان (٢٩/ ٢٣).

والثواب ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع[١].

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾

أنت على دين عظيم وهو الإسلام وأدب جم، وذلك أدب القرآن الذي أدبه الله به، بامتثال أمره واجتناب نهيه فلم يكن له همًّا سوى الله ﷻ، ولما سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، عن خلق النبي ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن»[٢]، فشرفه الله تعالى بجميع الخصال الجميلة.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾

﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ يا محمد ﴿وَيُبْصِرُونَ﴾، أي: كفار قريش عاقبة أمرك وأمرهم، ومن منكم المجنون، وقد تبين أنه ﷺ أهدى الناس وأكملهم، وأن أعداءه أضل الناس وأشرهم، وهم الذين فتنوا عباد الله وأضلوهم عن سبيله، وكفى أن الله يعلم ذلك[٣].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾

فالله جل جلاله يعلم من ضل عن طريق الحق الذي أمر به، ويعلم من اتبع الحق، وسلك سبيله، وفي الآية تهديد للضالين، ووعد للمهتدين، وسيجزي الفريقين.

﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾

أي: اثبت على ما أنت عليه من عدم طاعة المكذبين بآيات الله، فالمطيع للمكذب مُقدم على ما يضره، وأعداؤك ﴿لَوْ تُدْهِنُ﴾ أي: تلين وتوافقهم على

---

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم (١٣٩).

(٣) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٢٤)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٩٨).

ما هم عليه، وتركن إلى آلهتهم، وتترك ما أنت عليه من الحق، ﴿فَيُدۡهِنُونَ﴾ فيلينون لك، وهذا حال أهل الباطل في كل زمان ومكان، لن يرضوا عن أهل الحق حتى يتبعوا أهواءهم وما هم عليه من الباطل.

﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ١٠﴾.

فلا تطع من كان كثير الحلف، فإنه لا يكون كذلك إلا وهو كذاب ولا يكون كذابًا إلا وهو ﴿مَّهِينٍ﴾ أي: خسيس النفس، ليس له همة في الخير، ولكذبه ومهانته يحلف بالله كذبًا.

في الآية تحذير من معاشرة أهل الباطل؛ لأن الأخلاق مكتسبة، تكتسب بالمعاشرة والاختلاط[(١)].

﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ١٢﴾.

أي: كثير العيب للناس، والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء، ويمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقل كلام الناس لبعض، لقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»[(٢)]، أي: نمام، ﴿مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ﴾ الذي يلزمه من النفقات الواجبة، من الزكاة والإنفاق على الأهل والأولاد وغير ذلك ﴿مُعۡتَدٍ﴾ تجاوز الحد في ظلم الناس ﴿أَثِيمٍ﴾ كثير الإثم والذنوب[(٣)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٢٧)، وأضواء البيان (٨/ ٢٥٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٥٦)، ومسلم (١٠٥).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٢٢- ٢٢٣)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٥٨)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٢٨-٣٠).

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾.

أي: غليظ جاف شرس، وبعد ما عد له من المثالب والعيوب بيَّن أنه ﴿زَنِيمٍ﴾ أي: ولد زنا ليس له أصل، ولا يُرجى منه فلاح، وهذه الآيات قد نزلت في بعض المشركين كالوليد بن المغيرة وغيره، ولكثرة ماله وولده طغى، واستكبر عن الحق، وقال في آيات الله أنها من جملة أساطير الأولين، أي: أكاذيب المتقدمين، والآية عامة في كل من اتصف بهذا الوصف؛ لأن القرآن نزل لهداية الخلق كلهم، وربما نزلت بعض الآيات في سبب، أو في شخص من الأشخاص لتتضح به القاعدة العامة[1].

﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

توعد تعالى من جرى منه الذنوب التي ذُكرت في الآيات السابقة، أنه سيعذبه عذابًا ظاهرًا، يكون عليه سمة وعلامة، وفي أشق الأشياء عليه وهو الخرطوم، أي: الأنف.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾.

إنا اختبرنا هؤلاء المكذبين بالخير وأمهلناهم، وأمددناهم بما شئنا من مال وولد وطول عمر، وغير ذلك، فاغتروا بذلك كما اغتر أصحاب الجنة، وهم قوم كان لهم حديقة فيها أشجار وثمار فلما آن وقت جمع الثمار،

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٢٤-٢٢٧)، وابن كثير (١٤/ ١٠٣-١٠٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٠).

أقسموا ليقطعن ثمارها مصبحين أي: في الصباح، وأقسموا وحلفوا، ولم يستثنوا في يمينهم بقولهم: إن شاء الله.

﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

فنزل عليهم عذبًا ليلًا وهم نائمون فأباد الحديقة وأحرق ما فيها من ثمار وأشجار فأصبحت كالصريم أي: كالليل المظلم[١].

﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

فنادى بعضهم في وقت الصباح -ولم يشعروا بما جرى للحديقة بالليل- قائلين: اخرجوا مبكرين أول الصباح إلى رزقكم إن كنتم صارمين أي: قاصدين ثمارها[٢].

﴿فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

فساروا إلى زرعهم ﴿وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾ أي: يتكلمون بصوت منخفض مخافة أن يسمعهم أحد فيخبر الفقراء، وهم يدبرون أن لا يدخلها الفقراء والمساكين عليهم حتى لا يعطوهم من الثمار ﴿وَغَدَوْا۟﴾ وساروا في هذه الحالة الشنيعة والقسوة وعدم الرحمة ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ أي: على إمساك ومنع لحق الله، ﴿قَٰدِرِينَ﴾ جازمين عازمين على ذلك[٣].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٠٨)، وجامع البيان (٢/ ٣٧-٣٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٠٩)، وتفسير السعدي (ص: ٨٨٨).

﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

فلما شاهدوا الثمار كما وصف الله كالصريم -أي: الليل المظلم-، قالوا: لقد ضللنا الطريق لعلها غيرها، فلما رجعت إليهم عقولهم، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ من جني ثمارها عقوبة من الله على ما عزمنا عليه من منع حق المساكين.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ أي: أعدلهم ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ الله، أي: تنزهون الله عما لا يليق به من ظنكم أن قدرتكم مستقلة، فلولا استثنيتم فقلتم «إن شاء الله» وجعلتكم قدرتكم ومشيئتكم تابعة لمشيئة الله، لما جرى عليكم ما جرى، فقالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ علموا ظلمهم لأنفسهم حين منعوا حق الفقراء، ولكن بعد ما وقع العذاب على جنتهم وثمارها، ولهذا ندموا ندمًا عظيمًا[(١)].

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾﴾

فأقبلوا بعضهم على بعض يتلاومون فيما فعلوه، قالوا من الندم: ﴿يَٰوَيْلَنَآ﴾ يا خسارة، ﴿إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾، أي: متجاوزين الحد في منع حق الفقراء من الثمار عسى ربنا يعوضنا خيرًا من هذه الحديقة ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ﴾ نرجو عفوه، وأن يبدلنا خيرًا منها، ومن دعا الله صادقًا راغبًا فيما عنده، أعطاه الله سؤله[(٢)].

---

(١) انظر: محاسن التأويل (٧/ ١٦١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١١٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٠).

(٢) المصدر السابق.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

مثل هذا العذاب الدنيوي لمن طغى وبغى وتعلق بالدنيا ونسي الآخرة، والله تعالى قادر أن يزيل عنه أحوج ما يكون إليه من النعم، ولعذاب الآخرة أعظم لو كانوا يعلمون شدته ودوامه(١).

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾

يخبر الله تعالى بما أعده للمتقين الصادقين من أنواع النعيم الدائم الذي لا ينقص، ولا ينقطع من جنات النعيم، ومن كمال عدله ألا يجعل المسلمين المؤمنين العابدين المخلصين، المنقادين لأوامره، كالمجرمين الذين عصوا الله، وأصروا على معاندة الرسل ومحاربة أوليائه، فمن ظن ذلك فقد أساء الحكم، وحكمه باطل(٢).

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

أم لكم كتاب تقرؤون فيه المساواة بين المطيع والعاصي؟! وأن لكم في هذا الكتاب ما تتخيرون لأنفسكم وتشتهونه في الآخرة.

﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ﴾ أي: لكم عند الله عهد بالغ مؤكد مقتضاه إلى يوم

---

(١) نفس المصدر.

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص ٨٨٩)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٣٦-٢٣٧).

القيامة: أن لكم ما تحكمون به لأنفسكم وأن الثواب والعقاب مفوض لكم، وهذا توبيخ من الله لهؤلاء الذين اتبعوا الباطل وتمنوا لأنفسهم الخير ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الأعوج وهو التسوية بين المطيع والعاصي[١].

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٤١﴾﴾

سل أيها الرسول القائلين هذا القول: أيهم كفيل بهذه الدعوى الفاسدة؟!

أم لهم شركاء من دون الله يساووهم في الجزاء والثواب مع المؤمنين؟! فليأتوا بهؤلاء الشركاء إن كانوا صادقين فيما يدعونه من أنهم يساوون مع المؤمنين في الجزاء.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾

فهذا صريح في أن الله يدعو الخلائق إلى السجود يوم القيامة، وأن المؤمن والمؤمنة يسجدون، والكفار والمنافقين لا يقدرون على السجود حسرة عليهم، وعقوبة لهم[٢]؛ لأنهم في الدنيا امتنعوا عن السجود لله مع صحتهم وسلامتهم.

﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾﴾

أي: تغشاهم ذلة العصيان، وقد كانوا في الدنيا يطلب منهم أن يسجدوا

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٤٦) بتصرف.

لله ويعبدوه، ويوحدوه، وهم سالمون معافون، فاستكبروا عن ذلك ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا الْحَدِيثِ﴾ أي: اترك أمر الكذب بالقرآن لي، فإني أكفيك أمره، وهذا تهديد شديد لكل مكذب بالقرآن، ولهذا قال: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فنمدهم بالأموال والأولاد والجاه، والسلطان؛ ليغتروا ويستمروا على ما هم فيه من عصيان الله، فلا يعلمون أن ذلك استدارج ومكر بهم، لجهلهم، وعدم فهمهم عن الله، فكم مغتر بستر الله عليه، وكثرة النعم، وهو يحسب أنه على خير، وأن الله عنه راض[1].

﴿وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾﴾

أي: أمهلهم، وأمد أعمارهم؛ لتكتمل محبة الله عليهم ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أي: كيدي بأهل الكفر شديد قوي، ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ هل تطلب منهم أيها الرسول أجرًا على تعليمك لهم شرعة الله، فهم بسبب ذلك يتحملون أمرًا عظيمًا، ﴿فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ﴾ فهذا سبب إعراضهم عنك؟! والواقع خلاف ذلك فإنك تدعوهم إلى عبادة الله لمصلحتهم من غير أن تطلب أجرًا، فما المانع لهم من اتباعك؟! ﴿أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ هل عندهم علم الغيب وما كُتب في اللوح المحفوظ، وقد وجدوا فيه أنهم على حق، وأنهم

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٥٢-٥٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١١٣-١١٤)، وتفسير القرطبي (١٨-٢٤١-٢٤٢).

يكتبون ما يحلو لهم من الحُجج التي يحتجون بها على أفعالهم، وأنهم على الحق[١].

﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨﴾

فاصبر يا محمد، يا نبي الله على أذى قومك وتكذيبهم لك، فإن الله سيحكم لك، ويجعل العاقبة لك، ولأتباعك في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ وهو ذا النون يونس بن متى عليه السلام، أي: ولا تشابهه في عدم صبره على قومه الصبر المطلوب منه، فذهب وتركهم غضبًا لربه لعدم استجابتهم للحق، حتى ركب سفينة في البحر، فلما ثقلت، كان لابد لأهل السفينة من تخفيف الأحمال، فاقترعوا أيهم يلقون في البحر لكي تخف بهم، فوقعت القرعة على يونس عليه السلام، فألقوه في البحر فالتقمه الحوت، ﴿إِذۡ نَادَىٰ﴾ أي: دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكۡظُومٞ﴾ محبوس في بطن الحوت من الغم ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]. فاستجاب الله له، وقذفه الحوت من بطنه.

﴿لَّوۡلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ٤٩﴾

لولا أن رحمة الله أدركته لنبذه الحوت بالعراء أي: بأرض خلاء، وهو مذموم؛ لكن الله تعالى رحمه فنبذه الحوت وهو ممدوح من ربه، غير غضبان عليه.

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٥٤)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٦٥-١٦٦).

﴿فَٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٥٠﴾

فاختاره -أي: يونس عليه السلام- ربه عز وجل، فجعله من عباده الصالحين، فامتثل نبينا ﷺ أمر ربه، فصبر لحكم ربه صبرًا لا يُدركه فيه أحد من الناس.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزۡلِقُونَكَ بِأَبۡصَٰرِهِمۡ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكۡرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجۡنُونٞ ٥١﴾

إن يكاد الذين كفروا ليصرعونك بأبصارهم، من شدة إحداد النظر إليك حسدًا لما سمعوا القرآن المنزل عليك، ويقولون كذبًا وزورًا واتباعًا لأهوائهم وإعراضًا عن الحق: إن الرسول الذي جاء به لمجنون.

﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٥٢﴾

ما القرآن المنزل عليك إلا موعظة وتذكيرًا للإنس والجن بما يصلح لهم، دينهم ودنياهم[1].

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة «القلم»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١١٥-١٢٥)، تفسير السعدي (ص: ٨٨١-٨٨٢)، المختصر في تفسير القرآن (ص ٥٦٦)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٥٦-١٩٧) وبدائع التفسير لابن القيم (٤/ ٥١٠-٥١٤)، وجامع البيان للطبري (٢٩/ ٥٤-٥٧).

سورة الحاقة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ
بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ
فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ
وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ
خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ
وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾
إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ
وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا
دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ
وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ
﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾
فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾
كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ
كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾

يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾
خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا
فَٱسۡلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلۡمِسۡكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ﴿٣٦﴾ لَّا
يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ
لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ
قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ
﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ
عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ
﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسۡرَةٌ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلۡيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ
ٱلۡعَظِيمِ ﴿٥٢﴾ ۞ .

﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾

الحاقة من أسماء يوم القيامة، وحق الشيء: أي: وجب، وسُميت بالحاقة؛ لأن يتحقق وعد الله بالبعث والحساب ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تفخيمًا وتعظيمًا لشأنها ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾ تأكيدًا لتفخيم شأنها[1].

ثمود من القبائل المشهورة، أرسل الله إليهم نبيه صالح عليه السلام لينهاهم عما هم عليه من الكفر، ويأمرهم بعبادة الله وحده، فكذبوه وردوا دعوته، ولم يستجيبوا له، وكذلك عاد أرسل الله إليهم نبيه هودًا يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وترك الشرك، فكذبوه وكذبوا ما أخبرهم به، فكلاهما -ثمود وعاد- كذبوا بالقارعة، وهي من أسماء يوم القيامة أيضًا، سُميت بذلك؛ لأنها تقرع القلوب، أي: تضرب القلوب من شدة أهوالها.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟﴾ فأهلكهم الله تعالى ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ وهي الصيحة العظيمة الفظيعة، التي بلغت من الشدة والهول أن خرجت أرواحهم فأصبحوا موتى[2].

﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾

وأما عاد فأهلكوا بأن سلط الله عليهم ريحًا ﴿صَرْصَرٍ﴾ شديدة البرودة،

---

(١) انظر: محاسن التأويل (٧/ ١٦٨)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٤٦، ٢٤٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٢٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٦١)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٢).

﴿عَاتِيَةٍ﴾ والعتو: هو الطغيان، ومجاوزة الحد، أي: أن هذه الريح العاتية عتت على عاد، وزادت على الحد فأهلكتهم [١].

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾

سلطها عليهم ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ متتابعات، وقيل: نحسًا وشرًّا عليهم فدمرتهم وأهلكتهم ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ أي: هلكى موتى، فكانت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتًا على رأسه، وتبقى جثته هامدة، كجذوع النخل التي قلعت رؤوسها الخاوية الخربة فسقطت بلا أغصان ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ وهو استفهام بمعنى النفي، أي: لم يبقى منهم أحد، بل هلكوا وماتوا جميعًا [٢].

﴿وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ۝٩ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً ۝١٠﴾

وجاء فرعون -وهو الذي أرسل إليه الله -تعالى- رسوله موسى عليه السلام بالآيات والمعجزات الدالات على صدق ما جاء به من عند الله، ولكن جحد وكفر بها قومه ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ من الأمم المكذبة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ وهي قرى قوم لوط عليه السلام، والجميع جاءوا ﴿بِالْخَاطِئَةِ﴾ الأفعال الخاطئة التي من أعظمها التكذيب بالبعث، ويوم القيامة ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ أي: كل أمة من هذه الأمم الطاغية الباغية عصت رسولها ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً﴾

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٢٧)، وجامع البيان (٢٩/ ٦١).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٤٨-٥٠) وتفسير الطبري (٢٩/ ٦٢).

فأخذهم الله أخذة زائدة في الشدة مهلكة [١].

﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

وقوم نوح عليه السلام من هؤلاء الأمم التي كذبت رُسل الله، وقد قال فيهم ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾ أي: ارتفع وزاد -بإذن الله- فعمَّ الطوفان الأرض؛ حتى علا إلى الجبل، فأغرق الماء كل من على الأرض، بسبب إصرار قوم نوح على المعاصي، إلا من آمن مع نوح، فقد امتنَّ الله عليهم وحملهم ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ وهي السفينة، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته، ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ﴾ أي: السفينة، ما تركبون في البحر ﴿تَذْكِرَةً﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرته تعالى وحكمته، وقوة قهره وسعة رحمته ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾ تحفظها وتعتبر بها الأذن التي تسمع فتعقل، فالذي يعتبر بهذا القصص من كان له سمعًا ووعيًا وفهمًا [٢].

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾

فإذا نفخ الملك الموكل بالنفخ في الصور -وهو قرن- النفخة الأولى يموت عندها جميع الخلق -إلا ما يشاء الله- والنفخة الأخيرة يقوم فيها الناس لرب العالمين للحساب، وقد أكدها هنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يُخالف، ولا يحتاج إلى تكرار وتأكيد، ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ ورفعت

---

(١) وانظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٥٠، ٢٥١)، وتفسير السعدي (ص ٨٨٢).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٦٧-٦٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٢٨-١٢٩)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٣).

الأرض والجبال من أماكنها ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ فدقتا دقة واحدة، وتفرقت أجزاء الأرض، وتفتقت الجبال، فاليوم الذي يحصل فيه ذلك كله ﴿وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ أي: قامت القيامة، فالواقعة من أسماء يوم القيامة[١].

﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

وتشققت السماء وانصدعت، فهي في هذا اليوم واهية ضعيفة بعد أن كانت شديدة ومتماسكة.

وتكون الملائكة الكرام على جوانبها وأطرافها، ويحمل عرش ربك في هذا اليوم العظيم المهيب ثمانية من الملائكة في غاية القوة، وهم من الملائكة المقربين، في هذا اليوم تعرضون أيها الناس على ربكم الذي لا تخفى عليه منكم خافية، صغيرة كانت أم كبيرة[٢].

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾

فأما من أُعطي كتابه -الذي كُتب فيه أعماله- بيمينه فهو من أهل السعادة الأبدية، فيقول أحدهم عند ذلك من الفرح والسرور، ومحبة أن يطلع الخلق على ما منَّ الله به عليه من الكرامة ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ﴾ خذوا اقرءوا كتاب أعمالي.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) نفس المصدر.

قد كنت موقنًا في الدنيا أن يوم الحساب آت لا محال، فهو في عيشة مرضية فيها جميع ما تشتهيه النفس، وهذه العيشة في جنات رفيعة المكانية عالية المكان، فالجنة في السماء [١].

﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾

ثمارها قريبة يتناولها بسهولة بغير مشقة، كلوا طعامًا شهيًّا وشرابًا لذيذًا ﴿هَنِيئًا﴾ تامًّا كاملًا، غير مكدر ولا منغص، وهذا الجزاء حصل لكم ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ بما قدمتم الأعمال الصالحة في الأيام الماضية في الدنيا [٢].

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾

وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله، فيقول من شدة الندم والحسرة يا ليتني لم أُعط كتاب أعمالي، لما علم ما فيه من أعمال تدخله النار، ويا ليتني لم أعرف أي شيء عن حسابي وكنت نسيًا منسيًّا، ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ليت الموتة الأولى التي متها في الدنيا هي موتتي التي لا بعث بعدها [٣].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٥٨، ٢٥٩)، وجامع البيان (٢٩/ ٧٥، ٧٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٣٤، ١٣٥).

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٧٧)، وابن كثير (١٤/ ١٣٧)، وتفسير السعدي (ص ٨٨٤).

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ٢٩ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ٣١﴾

لم يدفع عني مالي من عذاب الله شيئًا، وذهب سلطاني وما كنت أعتمد عليه من قوة المال ومن الجاه، حينئذ يأمر زبانية جهنم -وهم الملائكة الموكلون بالنار- أن تأخذه بعنف فتغله، أي: تجمع يده إلى عنقيه ﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أدخلوه النار، وقلبوه على جمر ولهب جهنم[1].

﴿ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ ٱلۡعَظِيمِ ٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣٤﴾.

ومع كل هذا العذاب يُلف في سلسلة طولها سبعون ذراعًا بحيث لا يقدر على الحركة، وقيل: تدخل السلسلة في دبره وتخرج من فمه، فبئس العذاب المهين، والذي أوصله إلى ذلك أنه كان كافرًا معاندًا، لا يؤدي حق الله، من توحيده، وعبادته وحده، ومع كفره وقسوة قلبه ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ﴾ لا يحث غيره على إطعام المساكين فضلًا أن يطعم هو المساكين[2].

﴿فَلَيۡسَ لَهُ ٱلۡيَوۡمَ هَٰهُنَا حَمِيمٞ ٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦ لَّا يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ٣٧﴾

فليس له يوم القيامة، قريبٌ، أو صديقٌ، أو من يشفع له عند الله لينجيه من العذاب، وليس له طعام إلا من ﴿غِسۡلِينٖ﴾، وهو صديد أهل النار، لا يأكل هذا الطعام ﴿إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ﴾ الآثمون، أصحاب الخطايا، الذين ضلوا

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٦٠، ٢٦١) وتفسير الطبري (٢٩/ ٨٧).

(٢) انظر: المصدر السابق.

طريق الهداية إلى الصراط المستقيم[١].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ٤١ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٤٢ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٣﴾

يقول الله تعالى -مقسمًا لخلقه- مما يشاهدون بأبصارهم من الآيات الدالات على كماله في أسمائه وصفاته وأفعاله، وأقسم أيضًا بما لا يشاهدونه مما غاب عن أبصارهم من المُغيبات على صدق الرسول، وبما جاء به من القرآن، وأن الرسول الكريم بلغه عن الله تعالى، ونزه الله رسوله عما رماه به أعداؤه، فقال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ﴾ كما تزعمون ﴿قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ﴾ فعدم إيمانكم، هو الذي حملكم على هذه الأقوال الباطلة ﴿وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ﴾ كما تزعمون تارة أخرى ﴿قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ قليلًا ما تتعظون وتعتبرون ﴿تَنزِيلٞ﴾ أي: هذا القرآن ﴿مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ فلا يليق أن يكون قول بشر، بل هو كلام دال على عظمة من تكلم به[٢].

﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ٤٧﴾

ولو أن محمدًا ﷺ افترى على الله كما تزعمون، فزاد في الرسالة، أو

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢١٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٦٢-٢٦٤)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٧٤)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٣٩).

نقص منها، أو قال شيئًا من عنده، ونسبه إلى الله -وحاشاه- فلو قدر أنه فعل هذا لعاجله الله بالعقوبة، فليس الكذب على الله كالكذب على غيره، قال: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ أي: بقوة، ثم عاقبناه بقطع الوتين، وهو نياط القلب، ونياط القلب: عرق يجري في الظهر حتى يتصل بالقلب إذا انقطع بطلت القوة ومات صاحبه[1]، فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بينه وبين عذاب الله، بل هو صادق مُبرء مما تقولون لأن الله ﷻ أيده بالمعجزات والآيات البينات، ونصره على أعدائه، وذلك كله شهادة من الله له على صدق رسالته[2].

﴿وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (٤٨) وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ (٤٩) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (٥١) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ (٥٢)﴾

وأن هذا القرآن تذكرة للمتقين، يذكرهم بمصالح دينهم ودنياهم، ومع ذلك، فالله تعالى يعلم أنه سيوجد من يكذب به، وتكذيبهم بالقرآن، سيكون من أعظم الحسرات عليهم يوم القيامة، حين لا ينفعهم التحسر، وكل من فرط فيما ينفعه صار تفريطه عليه حسرة.

ثم أخبر سبحانه أن القرآن والرسول حق اليقين الذي لا شك فيه،

---

(١) انظر: بدائع التفسير لابن القيم (٥/ ١٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦٣، ٢٦٤)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٤٠، ١٤١).

ولا ريب.

ثم ختم السورة بقوله: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾. أي: نزهه عما لا يليق به، واذكره بأوصاف العظمة والجلال والكمال[1].

تم بحمد الله تعالى تفسير سورة «الحاقة»

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ١٩، ٢٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٤١-١١٢) وتفسير السعدي (ص ٨٨٥)، وجامع البيان، للطبري (٢٩/ ٥٦، ٥٧).

سورة المعارج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ
ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ
مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا
﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ
كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ
يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ
ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً
لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ
خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾
إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ
حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾
وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾
وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ
هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ

صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ
مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ
أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَا أُقْسِمُ
بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ
﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ
الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ
الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾

ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع، سؤال تعنت واستهزاء؛ لأنهم يكذبون بالبعث والحساب، وقيل: دعا داعٍ من المشركين على نفسه -وهو النضر بن الحارث- إذا كان هذا العذاب حقًّا وواقعًا، من باب السخرية والتكذيب بعدم وقعه، وهذا العذاب واقع ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ﴾ فليس لهذا العذاب -الذي استعجل المشركين- دافع يدفعه قبل نزوله من عند الله ﴿ذِى ٱلْمَعَارِجِ﴾ ذو العلو والجلال والعظمة، والنعم، والفضل العظيم[(١)].

﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤﴾

تصعد الملائكة والروح، قيل: جبريل عليه السلام، وقيل: الروح: أي الأرواح كلها تصعد إلى الله في يوم كان مقدار صعودهم فيه خمسين ألف سنة، من ابتداء العروج إلى وصولها إلى الملأ الأعلى.

وهذا اليوم هو يوم القيامة، ويؤيد ذلك قول رسول الله ﷺ في مانع الزكاة: «**مَا مِنْ صَاحِبِ كَنْزٍ لَا يُؤَدِّي زَكَاتَهُ، إِلَّا أُحْمِيَ عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُجْعَلُ صَفَائِحَ فَيُكْوَى بِهَا جَنْبَاهُ، وَجَبِينُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**»[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٤٣-١٤٤)، وتفسير السعدي (ص ٨٨٥، ٨٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٩٨٧) وغيره.

﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾

فاصبر يا محمد على تكذيب قومك لك؛ صبرًا لا جزع فيه، ولا شكوى، وهذا هو الصبر الجميل، فالكفار يرون وقوع العذاب، وقيام الساعة بعيدًا، لأنه سبحانه حليم، فلم يعجل لهم العذاب، فظنوا أنه لم يقع، والله تعالى يراه قريبًا؛ لأن كل ما هو آت فهو قريب[1].

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨ وَتَكُونُ ٱلۡجِبَالُ كَٱلۡعِهۡنِ ۝٩﴾

يذكر الله تعالى في هذه الآيات ما يكون من شدائد وأهوال يوم القيامة، فتكون السماء ﴿كَٱلۡمُهۡلِ﴾ أي: دردي الزيت -وهو ما يبقى أسفله- أو كالنحاس المذاب من تشققها، وتكون الجبال ﴿كَٱلۡعِهۡنِ﴾ وهو الصوف المنفوش، بعد أن كانت حجارة شديد الصلابة، فإذا كانت هذه المخلوقات القوية العظيمة، تحولت إلى هذا الحال من الضعف بسبب القلق والاضطراب من أهوال يوم القيامة، فما ظنك بالبشر الضعيف كيف يكون حالهم في هذا اليوم؟![2].

﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ۝١٠ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ۝١٣ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ۝١٤﴾

ففي هذا اليوم، لا يسأل القريب قريبه عن حاله، وهو يراه في أسوأ

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٤٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٧٨)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٨٩).

(٢) المصدر السابق.

الأحوال، فكل إنسان مشغول بنفسه، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧]. ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ أي: يعرفون من كان قريبًا منهم في الدنيا ومع ذلك لا يسأله عن حاله من عظم ما يراه، ويتمنى المجرم الكافر أن يفدي نفسه من هذا العذاب بأعز ما عنده -ولده وزوجته وأخيه وقبيلته وعشيرته- يود أن يفتدي من عذاب الله بكل ما على الأرض، ولا يُقبل منه[(١)].

﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾

لا حيلة، ولا فِرار، ولا فداء من العذاب، فوصف النار بأنها ملتهبة، من شدة حرها، وأنها تنزع وتخلع أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة، وقيل: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ -الشوى: جمع شواه، وهي جلد الرأس وفروته- أي: تنزع فروة الرأس نزعًا شديدًا، فتفصله عن الرأس من شدة حرارتها، ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ﴾ تدعو النار إليها من أعرض عن الحق، وبعد عنه، وترك الطاعة لله تعالى، ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ وجمع المال بعضه على بعض، ومنع حق الله، وما أوجبه عليه من إخراج الزكاة للفقراء، وسائر النفقات الواجبة عليه[(٢)].

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

يخبر الله ﷻ عن الإنسان، وعن طبيعته الأصلية، أنه هلوع، ثم فسر

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٧٣، ٢٧٤)، وجامع البيان (٢٩/ ٩٢، ٩٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٥٠، ١٥١).

(٢) المصدر السابق.

الهلع بقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا﴾ إذا أصابه الضر فزع وجزع، وانخلع قلبه من شدة الرعب، وأيس أن يحصل له خير بعد ذلك، وإذا حصلت له نعمة من الله بخل بها، ومنع حق الله فيها.

﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾

بعد أن ذكر الله صفات الذم، المتصف بها الإنسان، بين أن المصلين المحافظين على صلاتهم، -والذين لا يضيعون منها شيئًا-، هؤلاء قد عصمهم الله من هذه الصفات الذميمة، ووفقهم إلى الخير ويسر لهم، ومن الأسباب أيضًا التي وفقهم الله بها، أن جعلوا في أموالهم نصيبًا لذوي الحاجات كالسائل ﴿وَٱلْمَحْرُومِ﴾ وهو المسكين الذي لا يسأل الناس فيعطوه، فيظن الناس أنه غني[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾﴾

أي: يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء، وهذا التصديق هو الذي حملهم على العمل، فهم يرجون الثواب، ويخافون العقاب، فهم من عذاب ربهم خائفون لا يضيعون الفروض التي فرضها الله عليهم، ولا يتعدون الحدود التي حدها الله لهم بارتكاب المعاصي، والسبب في ذلك أنهم عقلوا وفهموا أن عذاب الله، لا يأمنه من خالف أمره[2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٥٣)، تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٧).

(٢) المصدر السابق.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾

أي: يكفون فروجهم عن الحرام، من: زنًا، أو لواط، وغير ذلك، ويتركون أيضًا وسائل المحرمات الداعية؛ لفعل الفاحشة، فهذا أيضًا من حفظ الفروج، ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ﴾ فإنهم لا لوم عليهم في التمتع بالزوجات، أو ما ملكت يمينه من الإماء، فمن ابتغى وطلب التمتع بغير ما أحل الله له من الزوجات، والإيماء، فأولئك هم المتجاوزون حدود الله ﷻ.

واعلم أن الخادمة في هذا الزمان لا تعد من الإيماء، ومن اتخذها أمة يستمتع بها فقد وقع في الزنا[1].

﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٖ مُّكۡرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾

أي: مراعون لها، حافظون مجتهدون على آدائها، والوفاء بها، وهذا شامل لجميع الأمانات التي بين العبد وبين ربه، كالتكاليف الشرعية التي لا يطلع عليها إلا الله -كالخوف من الله ومراقبته، وحسن الظن به، ومحاسبة النفس وغيرها، والأمانات التي بين العبد وبين الخلق، في الأموال والأسرار، وكذلك العهد، شامل للعهد الذي عاهد عليه الله، والعهد الذي عاهد عليه الخلق، فإن العهد يُسأل عنه العبد، هل قام به، ووفاه، أم رفضه،

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٨٨٧)، وابن كثير (١٤/ ١٥٣، ١٥٤)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٨٠).

وخانه فلم يقم به؟

والذين هم قائمون بشهادتهم على الوجه المطلوب، لا يشهدون إلا بما يعلمون، ولا يشهدون محاباة لقريب أو صديق، أو لإلحاق الضرر بعدو لهم، ولا يكتمون ما استشهدوا عليه، ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ يداومون على أدائها في وقتها، ويتمون ركوعها وسجودها بطمأنينة، لا يشغلهم عنها شاغل.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ هؤلاء الموصوفون بتلك الصفات في جنات لهم فيها من الكرامة والنعيم الدائم والنظر لوجه الله الكريم، ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وهم في الجنة خالدون[1].

﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

يقول الله -تبارك وتعالى- منكرًا على الكفار ما فعلوه من الفرار من النبي ﷺ بعد ما شهدوا المعجزات الباهرات الدالات على صدقه ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي: عندك ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين نافرين منك لا يرغبون في كتاب الله، ولا في سنة نبيه ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ متفرقين، ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ وبأي سبب طمعوا، أن يدخلوا جنات النعيم؟!

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١٠٤)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٨، ٢٧٩)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٥٤)، وتفسير الكريم الرحمن (ص: ٨٨٧).

وهم ما قدموا إلا الكفر والجحود، ولهذا قال: ﴿كَلَّآ﴾ ردع لهم عن ذلك الطمع، فدخول الجنة ليس بالتمني، ولا بالأماني، لكن لمن تحلى بالإيمان والأعمال الصالحة.

فأراد الله تعالى أن يؤكد لهم وقوع المعاد والعذاب الذي أنكروه مستدلًّا عليهم ببدايتهم -التي الإعادة أهون منها- وهم معترفون بهذه البداية، فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: من المنيِّ الضعيف، وهم يعلمون هذا [(١)].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

هذا، إقسام منه سبحانه وتعالى بمشارق ومغارب الشمس والقمر، على أنه قادر على تبديل هؤلاء بغيرهم ممن يطيع الله، ولا يعصيه، وإهلاك هؤلاء المعاندين المكذبين ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ ولسنا بحاجزين فمتى أردنا إهلاكهم أهلكناهم، فذرهم يا محمد ﴿يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟﴾ أي: دعهم في تكذيبهم وعنادهم وكفرهم، يلعبوا في هذه الحياة الدنيا ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ يوم القيامة الذي وعدهم به في القرآن وأنه لآت لا محال، اليوم الذي يخرجون فيه ﴿مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا﴾ من القبور مسرعين مجيبين لدعوة الداعي، لا يستطيعون معصية بل يقومون للوقوف بين يدي الله ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٥٥-١٥٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٨٠، ٢٨١)، وتيسير الكريم الرحمن (ص٨٨٨).

نُصُبٍ﴾ كأنهم إلى شيء منصوب -علم أو راية- ﴿يُوفِضُونَ﴾ يتسابقون إليه ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ خاضعة أبصارهم يغشاها الذل ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ به في الدنيا، وكانوا لا يبالون ولا يصدقون؛ ولكن وعد الله آت[1].

تم ولله الحمد والفضل والمنة

تفسير سورة «المعارج»

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ١٠٨-١١١)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٥-٣١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥٧-١٥٨)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٨).

سورة نوح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ
وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ
أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى
لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ
لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟
وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ
لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا
﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ
جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ
أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ
ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا
﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى
وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾

وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ
وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا
خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا
﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن
تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى
وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ
ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣﴾

يقول الله تبارك وتعالى مُخبرًا عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه، وقد أمره الله أن ينذرهم عذاب الله الشديد قبل أن يقع عليهم، فاستجاب نوح لأمر ربه، وقال لقومه ﴿إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ واضح ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ وحده ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ أي: اتقوا الله، بترك ما حرمه الله، وفعل ما أمركم به، ﴿وَأَطِيعُونِ﴾ واقبلوا نصيحتي لكم[1].

﴿يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦﴾

أي: إذا فعلتم ما أمركم به الله، وصدقتم بما أُرسلت به إليكم غفر الله لكم ذنوبكم، ومدَّ في أعماركم إلى وقت محدد يعلمه الله، ودفع عنكم العذاب المقدر عليكم، إن لم تنزجروا وتنتهوا عما نهاكم عنه.

فإن أجل الله -وهو الموت- إذا جاء لا يؤخر ﴿لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ لبادرتم بالطاعة، والتوبة من الشرك قبل حلول النقمة بكم.

قال نوح شاكيًا إلى ربه ما لقي من قومه ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا﴾ أي: دعوتهم إلى توحيدك وعبادتك، بالليل والنهار، فقد بذل كل ما يمكنه في سبيل الدعوة إلى الله، ومدة دعوته هذه كانت ألف سنة إلا خمسين عامًا،

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١١٢، ١١٣)، وتفسير القرطبي (١٨/ ٢٨٦، ٢٨٧).

كما قال تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت: ١٤]، ومع صبره عليه السلام طيلة هذه المدة لم يزدهم صبره ودعوته لهم إلا فرارًا ونفورًا وبعدًا مما دعاهم إليه، فليصبر الدعاة على المدعوين إن لم يستجيبوا لهم تأسيًا بنوح عليه السلام[1].

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾

وإني كلما دعوتهم إلى ما فيه سبب غفران ذنوبهم وهو الإيمان بك، وحسن طاعتك ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ لئلا يسمعوا صوتي ﴿وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ﴾ أي: غطوا بها وجوههم لئلا يروني، ولئلا يسمعوا كلامي ﴿وَأَصَرُّوا﴾ أي: استمروا على ما هم عليه من الشرك، والكفر العظيم ﴿وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ تكبروا على اتباع الحق تكبرًا شديدًا، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ دعوتهم علانية، ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ﴾ رفعت صوتي بالدعوة ﴿وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ دعوتهم بصوت منخفض، والمقصود أن نوحًا عليه السلام نوّع لهم أسلوب الدعوة لعلهم يستجيبوا فأبوا إلا الكفر والعناد والإعراض[2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٦٠، ١٦١)، ومحاسن التأويل (٧/ ١٨٣)، والمختصر في تفسير القرآن الكريم (ص ٥٧٠).

(٢) انظر: أضواء البيان (٨/ ٣٠٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٨/ ٢٨٨، ٢٨٩)، والمختصر في تفسير القرآن الكريم (ص ٥٧٠).

﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾﴾

﴿فَقُلْتُ﴾ لهم يا قومي، ﴿ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ﴾، أي: اطلبوا منه أن يغفر لكم ذنوبكم وذلك بعد التوبة إليه، والرجوع عن معصيته إلى طاعته، فهو سبحانه ﴿غَفَّارًا﴾، أي: كثير المغفرة لمن تاب إليه من عباده، فإنكم إن فعلتم ذلك فسوف يُنزل عليكم المطر من السماء ﴿مِّدْرَارًا﴾ أي: متواصلة كثيرة يتبع بعضه بعضًا وليس الأمر قاصرًا على إنزال المطر، بل يعطيكم بكثرة أموالًا وأولادًا، ويجعل لكم بساتين تأكلون من ثمارها، ويجعل لكم أنهارًا من ماء عاذب تشربون منه، وتسقون زروعكم ومواشيكم[(١)].

وهذه الآية دليل على أن الاستغفار له فوائد عظيمة منها ما ذكر في هذه الآية:

١- نزول المطر الذي به حياة الإنسان والنبات والحيوان.

٢- كثرة الأموال وسعة الأرزاق.

٣- كثرة الأولاد.

٤- كثرة الخيرات والبركات والثمار والزروع.

ومن فوائد الاستغفار: أنه يعطي قوة في البدن، قال تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ

(١) انظر: محاسن التأويل (٧/ ١٨٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٦١، ١٦٢).

عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ ﴾ [هود: ٥٢].

﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ ﴾

ما شأنكم، لماذا لا تخافون لله عظمته، ولا تقدروا لله قدره، وقد خلقكم ﴿أَطْوَارًا﴾ أي: خلقًا من بعد خلق في بطون أمهاتكم، فبداية خلق الجنين يكون نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم تُكسى هذه المضغة -وهي قطعة لحم صغيرة- بالعظم، ثم يخرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا، ثم يكون طفلًا ثم إنسانًا يُميز، وبعد كل هذا الإنعام والإحسان تقصرون في توقير الله الذي خلقكم على هذه الصورة البديعة ﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾﴾ [عبس: ١٧][1].

﴿ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ ﴾

ألا ترون كيف خلق الله سبع سموات، سماء فوق سماء؟! وجعل القمر في السماء الدنيا مصدرًا للإضاءة، وجعل الشمس مضيئة أيضًا، وفي ضوء الشمس منافع عظيمة جدًّا، لسنا بصدد ذكرها وكل ذلك يدل على عناية الرب سبحانه وتعالى بعباده، وإحسانه إليهم ورحمته ولطفه بهم، إذ يُيسِّر لهم كل ما يحتاجون إليه قبل إتيانهم إلى الدنيا، وبغير سؤال منهم، فما

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ١١٦-١١٩)، وتفسير السعدي (ص ٨٨٩).

أكرمه وما أعظمه جل جلاله وتقدست أسماؤه.

والله خلقكم من الأرض حين خلق أباكم آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ وذلك عند الموت، حيث يدفن الإنسان في بطن الأرض، ثم يخرجكم يوم البعث منها إخراجًا، فيعيدكم كما بدأكم أول مرة[1].

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

أي: بسط لكم الأرض ومهدها وهيأها للسير عليها والانتفاع بها، كل ذلك لتسلكوا منها طرقًا واسعة -والفج: المسلك بين الجبلين- وإن لم يبسط الأرض لنا ما كان لأحد زراعتها وحرثها، أو الانتفاع بها[2].

﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾﴾

قال نوح: رب إني قومي خالفوا أمري، وردوا عليَّ ما دعوتهم إليه من الهدى والرشاد، ﴿وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ اتبع الأصاغر رؤساءهم أصحاب الأموال والجاه والأولاد، فلم تزدهم هذه النعم التي أنعمت عليهم بها إلا عنادًا واستكبروا على الله، فخسروا سعادة الدارين، ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ مكر الأكابر منهم مكرًا عظيمًا بتحريش سفهائهم على نوح، وقال الرؤساء للأتباع: ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ لا تتركوا عبادة

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٨/ ٢٩٣) بتصرف.

أصنامكم، وهي: وَدٌّ، وسواعٌ، ويغوث، ويعوق، ونسرٌ، وهذه أسماء رجال صالحين كانوا في قوم نوح، فلما ماتوا زين الشيطان لقومهم أن يصوروا صورهم على هيئة أصنام لينشطوا على الطاعة -بزعمهم- إذا رأوهم، ولما ماتوا ومع مضي الوقت عُبدت هذه الأصنام من دون الله تعالى، وقد أضلوا بأصنامهم هذه كثيرًا من الناس؛ لأنهم خدعوك وقالوا لهم: إن هذه الأصنام آلهة، وبها تنزل المطر، فلا تزدهم -يا رب- الظالمين لأنفسهم بالإصرار على الكفر إلا ضلالًا عن الحق[1].

﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾﴾

بسبب خطيئاتهم من كثرة الذنوب التي ارتكبوها، أُغرقوا بالطوفان ﴿فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا﴾ عقب ذلك بعد موتهم مباشرة، وهي النار التي في القبر، فلم يجدوا لهم معينًا ولا مغيثًا ولا مجيرًا ينقذهم من عذاب الله.

وقال نوح لا تترك -يا رب- على وجه الأرض من الكافرين ﴿دَيَّارًا﴾ والدّيار: هو الذي يسكن الدار[2]، ثم بين نوح عليه السلام سبب دعائه على قومه، إنك إن أبقيت منهم أحدًا أضلوا عباده، وقد علم نوح ذلك عنهم بسبب

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٦٤-١٦٧)، وجامع البيان (٢٩/ ١٢٠-١٢٣)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٨٩).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٦٧).

كثرة مخالطتهم، فعلم أعمالهم وأخلاقهم، ومع كفرهم ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ فاجر لا يطيع أمرك، ولا يشكرك على نعمك، لشدة كفره.

ثم سأل نوح عليه السلام رب العالمين السميع المجيب أن يغفر له، ولوالديه ولكل من دخل بيته مؤمنًا مخلصًا في إيمانه، ولا يزيد الظالمين إلا هلاكًا وخسرانًا ودمارًا[1].

تم بحمد الله وكرمه تفسير سورة «نوح»

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٨٨٩)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٦٨، ١٦٩)، والمختصر في تفسير القرآن الكريم (ص ٥٧١).

سورة الجن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا
(١) يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ
رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ
شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا (٥) وَأَنَّهُۥ كَانَ
رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (٦) وَأَنَّهُمْ ظَنُّواْ كَمَا
ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا (٧) وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ
حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (٨) وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن
يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا (٩) وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي
ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا (١٠) وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا
طَرَآئِقَ قِدَدًا (١١) وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ
هَرَبًا (١٢) وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ
بَخْسًا وَلَا رَهَقًا (١٣) وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ
أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا (١٤) وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا
(١٥) وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا (١٦) لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ
وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا (١٧) وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ

فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ
لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ
مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ
نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ
أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا
يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ
بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾ ۞ .

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢﴾

قل يا أيها النبي لأمتك، إن الله أوحى إليَّ أن نفرًا من الجن -والمشهور أن النفر من ثلاثة إلى عشرة، وقد يستعمل إلى الأربعين[1]- استمعوا إلى قراءتي للقرآن ﴿فَقَالُوٓاْ﴾ لما رجعوا إلى قومهم ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾ عجيب في فصاحته وبلاغته، لا يدخل تحت كلام البشر ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ﴾ وهو الحق وسبيل الصواب -والرشد: اسم جامع لكل ما يرشد الناس إلى مصالح دينهم ودنياهم ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ فآمنا بما جاء القرآن ﴿وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾ لن نشرك بعبادة ربنا أحدًا، فجمعوا بين الإيمان الذي يدخل فيه أعمال الخير، وبين التقوى المتضمنة لترك الشرك، وهذا هو الإيمان النافع المثمر لكل خير، المبني على هداية القرآن[2].

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾

أي: تعالت عظمة ربنا وقدرته وسلطانه من اتخاذ الصاحبة والأولاد، وأنه كان إبليس -وهو سفيههم- يقول على الله تعالى ﴿شَطَطًا﴾ والشطط: البعد عن القصد، ومجاوزة الحد، فقالوا: إن له شريكًا وصاحبة وولدًا، فصدقنا قولهم، فلما سمعنا القرآن علمنا أنهم يكذبون على الله في ذلك،

---

(١) انظر: محاسن التأويل (٧/ ١٨٨).

(٢) انظر: تفسير السعدي (ص ٨٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٠).

فالله تعالى واحد أحد صمد، لم يتخذ صاحبة ولا ولد[١].

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾

كان الناس في الجاهلية قبل الإسلام يعظمون الجن ويعبدونه، فإذا نزلوا بمكان موحش أو مخوف استعاذوا بسيد الجن من شر قومه، والجن لا يملكون لأنفسهم، ولا لغيرهم ضرًّا ولا نفعًا، فإذا استعاذوا بهم من دون الله، زادهم باستعاذتهم بهم خوفًا ورعبًا وتكبرًا على الإنس، وأن الإنس ظنوا ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ أيها الجن ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا﴾ من الرسل إلى خلقه يدعوهم إلى التوحيد[٢].

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٰٔنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾

أي: تطلبنا خبر السماء، كما جرت عادتنا، فوجدناها ملئت حرسًا من الملائكة يحرسونها، ويمنعون الجن من الوصول إليها ﴿وَشُهُبًا﴾ محرقة يرمي بها من استرق السمع من الشياطين، وأنا كنا قبل بعثة النبي ﷺ نتخذ من السماء مواقع نستمع منها من الملائكة أخبار السماء، فيلقون ما يسترقون من السمع إلى الكهنة من أهل الأرض، فيكذب معها الكاهن مائة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٧٠، ١٧١)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٢)، وجامع البيان (٢٩/ ١٣٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٧٢، ١٧٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٣)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١٣٦).

كذبة، فمن يستمع منا الآن إلى خبر السماء ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ مرصدًا له معدًّا لإحراقه[١].

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

وإنا لا نعلم ما سبب حراسة السماء، هذه الحراسة الشديدة، ورجم من استمع منا بالشهب المحرقة، أأريد شر بأهل الأرض وعذاب أو رحمة؟! - وهذا نص على أن الجن لا تعلم الغيب- حتى علموا بعد استماعهم القرآن أنه خير أُريد بأهل الأرض، وهذا من أدب الجن في العبارة، أن أضافوا الخير إلى الله تعالى، والشر حذفوا فاعله تأدبًا مع الله، وإنا معشر الجن منا الصالحون المتقون، ومنا الفجار والكفار، ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ مذاهب متنوعة، وأصنافًا مختلفة وآراء متفرقة[٢].

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾

وأنا أيقنا أن قدرة الله عظيمة، وأنا لا نعجزه في الأرض إذا أراد أمرًا ما، وإن هربنا وسعينا بأسباب الفرار والخروج، فإنه علينا قادر، لا يعجزه أحد منا ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ لما سمعنا القرآن الهادي إلى الصراط

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٧٢، ١٧٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٠، ٨٩١) ومحاسن التأويل (٧/ ١٩١، ١٩٢).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٧٤)، وبدائع التفسير (٥/ ٤٤)، وأضواء البيان (٨/ ٣١٨).

المستقيم أثَّر في قلوبنا فأمنا به -فهم يفتخرون بذلك، وهو مفخر لهم، وشرف رفيع- ثم ذكروا ما يُرغب في الإيمان بالله تعالى، فقالوا: ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ إيمانًا صادقًا ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ فلا يخاف نقصًا لحسناته، ولا إثمًا يضاف إلى سيئاته، فالإيمان سبب السلامة من كل شر، وحصول كل خير[1].

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾﴾

وأنا منا المسلمون الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بطاعة الله، ومنا القاسطون: الجائرون العادلون عن الحق ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ فمن انقاد لطاعة الله فأولئك قصدوا طريق الحق، واجتهدوا في البحث عنه، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الظالمون لأنفسهم ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقودًا توقد به جهنم، كما توقد بكفار الإنس، ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ الجن أو الإنس، أو كلاهما على طريق الحق والرشاد ﴿لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ لسقاهم الله ﷻ ماءً كثيرًا.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ لنختبرهم فيه، أيشكرون نعمة الله بلزوم طريق الهداية أم يرتدون إلى طريق الغواية، ومن يعرض عن القرآن وعما فيه من المواعظ، وغفل عنه ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ يدخله عذابًا شديدًا شاقًّا مؤلمًا يعلوه

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٠، ٨٩١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٧٦).

ويغلبه فلا يطبقه[١].

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾

وأن المساجد مختصة لعبادة الله وحده، فلا تدعوا فيها غيره، كما كان عليه المشركون من عبادتهم غير الله سبحانه بمسجده الحرام، ونصبهم فيها التماثيل والأصنام، وكذلك اليهود والنصارى كانوا إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أي: معابدهم أشركوا بالله، ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ لما قام محمد -عبد الله ورسوله- يعبد ربه ويقرأ القرآن، ﴿كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ كاد الجن من تكاثرهم عليه أن يكونوا عليه ﴿لِبَدًا﴾ أي: متراكمين بعضهم على بعض من شدة الزحام عندما سمعوا منه القرآن[٢].

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

قل لهم يا أيها الرسول لهؤلاء المشركين حقيقة ما تدعو إليه ﴿إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ إنما أعبد ربي ﴿وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا﴾ أي: لا أشرك في عبادة ربي أحدًا، قل لهم: ﴿إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾ إني بشر مثلكم، وعبد من عباد الله، يوحي إليّ ربي، فلا أملك ولا أقدر على دفع ضر قدره الله عليكم، ولا أملك

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٤٤)، الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٩، ٢١)، وجامع البيان (٢٩/ ١٤٠-١٤٤).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٢٤)، وجامع البيان (٢٩/ ١٤٥)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٧٨، ١٧٩).

جلب الهداية لكم، إن صرفها الله عنكم، بل المرجع في ذلك كله لله ﷻ، قل لهم ﴿إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ لن ينجيني من عذاب الله أحد إن عصيته ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾ مُلتجأ ألجأ إليه[1].

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾

لكن الذي أملكه أن أبلغكم ما أمرني الله بتبليغه إليكم، بما خصني به بالرسالة، التي تدعو الخلق إلى الحق -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ فإن مصيره دخول جهنم خالدًا فيها، والمقصود بالمعصية هنا الكفر، أما دون الكفر من المعاصي، فإنه لا يوجب الخلود في النار، كما دلت على ذلك آيات القرآن والأحاديث عن النبي ﷺ، وأجمع عليه سلف الأمة وأئمتها.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ حتى إذا شاهدوا، وجزموا يوم القيامة أن ما وُعدوا به من العذاب واقع بهم ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ في ذلك الوقت من أضعف ناصرًا وأقل أعوانًا -حين لا ينصرهم غيرهم، ولا ينصرون أنفسهم- هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى؟![2].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٨٠، ١٨١)، وتفسير الطبري (٢٩/ ١٤٨، ١٤٩)، والمختصر في تفسير القرآن (ص ٥٧٣).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٨)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩١).

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾

قل يا أيها الرسول لهؤلاء المكذبون المنكرين للبعث، لا أدري وقت وقوع ما توعدون به من العذاب يوم القيامة، أقريب أم أن له أجلًا لا يعلمه إلا الله، هو سبحانه به ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ كله لا يخفى عليه منه شيء ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ فلا يطلع على علم الغيب أحدًا ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ فإنه سبحانه وتعالى، يطلعه على ما شاء، ويخبره بما تقتضيه حكمته أن يخبره به، فيكون ذلك تأييدًا له، ودلالة على صدق نبوته، ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ فيجعل الله تعالى بين يدي الرسول ومن خلفه حرسًا من الملائكة يحرسونه من أن تسترق الشياطين ما أظهره الله للرسول من علم الغيب فتلقيه للكهنة، أو تتخبطه الشياطين فتزيد أو تنقص مما أوحى الله إليه، فالملائكة يحفظونه بأمر الله ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ بذلك ﴿أَن قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كاملة، بلا زيادة ولا نقصان؛ بما يسيره الله لهم من أسباب حفظ رسالاته ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ وأن الله أحاط بما عند الملائكة والرسل علمًا ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ وأحصى عدد كل شيء من القطر، والرمل، وورق الشجر، وزبد البحر، وغيرها من

مخلوقاته، فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه؟! سبحانه لا يخفى عليه شيء[١].

تم بحمد الله تفسير سورة «الجن»

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ١٥٠-١٥٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٨١-١٨٤)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٨-٣١).

سورة المزمل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ
عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ
هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ
وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾
وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى
ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ
وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾
إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ
فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا
يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ
هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ
أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ
ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ
أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ
وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟
ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ
خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ۞

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝٢ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾

المزمل: المتغطي بثيابه، فإن رسول الله ﷺ حين أكرمه الله بالرسالة بإنزال جبريل بالوحي عليه، رأى جبريل عليه السلام، وسمع صوته فأخذته رعدة، وانزعج انزعاجًا شديدًا، من رؤيته على صورتيه الملائكية؛ لأنه أمر عظيم لا يقدر على الثبات له إلا المرسلون، فأتى أهله وقال: «**زملوني، زملوني**»، فخاطبه الله تعالى بهذا الوصف «المزمل» ثم بعد ذلك خوطب بالنبوة والرسالة، فأمره سبحانه بأشرف العبادات، وهي الصلاة، وبأفضل الأوقات وهو قيام الليل، فمن رحمته سبحانه أنه لم يأمره بقيام الليل كله، بل قال: ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم بين له قدر قيام الله فقال: ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ أي: نصف الليل ﴿أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا﴾ أو انقص من نصف الليل يسيرًا، فيكون نحو الثلث ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ أو زد على النصف فيكون نحو ثلثي الليل، والمقصود: أن الله لما أمره -في أول الأمر بقيام الليل- خيره بين قيام نصف الليل أو ما فوقه، أو ما دونه ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ أي: اقرأه على مهل وتؤدة حتى يحصل به التدبر والتفكر، وحضور القلب، واستدل بالآية على أن الترتيل، والتدبر مع قلة القراءة أفضل من سرعة القراءة مع كثرتها؛ لأن المقصود من القرآن فهمه، وتدبره والفقه فيه، والعمل به[1].

---

(١) انظر: محاسن التأويل (٧/ ١٩٩)، وجامع البيان (٢٩/ ١٥٤-١٥٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٢، ٨٩٣).

﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾﴾

أي: إنا سنوحي إليك هذا القرآن الثقيل، أي: العظيمة معانيه الجليلة أوصافه، وما كان بهذا الوصف، فينبغي أن يتهيأ له ويتفكر في معانيه ومقاصده وحدوده، وحلاله وحرامه، وهذا قول ثقيل، لا يحمله إلا قلب مؤيد بالتوفيق، ونفس مزينة بالتوحيد، ثم ذكر الحكمة في أمره ﷺ بقيام الليل، فقال: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ الناشئة من الإنشاء، والإنشاء أي: الابتداء، والمقصود الصلاة بالليل بعد النوم ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ هي أقرب إلى تحصيل مقصود القرآن من الفهم والتأمل والتفكر، ودفع الشواغل عن العقل، فيتواطأ القلب مع اللسان، فيفهم ما يقول، بخلاف ساعات النهار، ففيها تكثر الشواغل، ويقل التفهم، والتذكر، ولذلك قال: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾ تصرفًا في ما تحتاج إليه لمعاشك، وهذا يوجب انشغال القلب، وعدم التفرغ التام[1].

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾.

واذكر الله بأنواع الذكر كلها، وأعلاها وأفضلها تلاوة القرآن، ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ انقطع إلى الله تعالى، والانقطاع إليه، هو الانفصال بالقلب عن الخلق، والاتصاف بمحبة الرب، وكل ما يقرب منه من أنواع العبادات ومنه قيل: لأم عيسى: مريم البتول؛ لانقطاعها إلى الله ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾

(١) انظر: المصدر السابق.

المالك المتصرف في المشارق والمغارب، وفي كل شيء لا معبود بحق يستحق التعظيم والإجلال إلا هو، ولهذا قال: ﴿فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ تعتمد عليه، في تدبير أمورك كلها[١].

﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾

لما أمره الله بالصلاة خصوصًا، وبالذكر عمومًا، وذلك يعطي للعبد قدرة على تحمل الأثقال، وقوة على فعل الثقيل من الأعمال- أمره بالصبر على ما يقول المعاندون له، وأن يمضي في طريق دعوته إلى الله، ولا يصده عن ذلك صاد، وأن يهجرهم هجرًا جميلًا، وهو الذي لا أذى فيه، ثم قال متوعدًا لكفار قومه، ومهددًا لهم: ﴿وَذَرْنِى وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُو۟لِى ٱلنَّعْمَةِ﴾ دعني وهؤلاء المكذبين المترفين أصحاب النعم من الأموال وغيرها، ولا تهتم بهم، فأنا أكفيك همهم، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ حتى يأتي أجلهم، ثم توعدهم بالعقوبة الشديدة في الآخرة، فقال: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا﴾ قيودًا تمنع الإنسان من الحركة، وسمى نكلًا؛ لأنه ينكل به، ويعذب به، ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا حامية ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ طعام لا يسوغ لمرارته وبشاعته وكراهة طعمه ورائحته ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي: عذابًا موجعًا؛ زيادة على ما سبق من أنواع العذاب[٢].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٩٤)، وتفسير القرطبي (٢٩/ ١٦٤-١٦٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٩/ ١٦٦-١٦٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٤٥، ٤٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٩٥).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾

يوم تتزلزل وتتحرك الأرض والجبال، وكانت الجبال رملًا سائلًا متناثرًا من شدة الأهوال، ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ هذا النبي الأمي العربي البشير النذير ﴿شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ على أعمالكم يوم القيامة، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ وهو موسى عليه السلام فدعاه إلى التوحيد وعبادة الله وحده ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ فلم يصدق موسى بل عصاه، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ شديدًا، فاحذروا أنتم أن تكذبوا الرسول فيصيبكم من عذاب الله ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر[1].

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

فكيف تمنعون عن أنفسكم -إن كفرتم بالله وكذبتم رسوله- يومًا شديدًا طويلًا يصير الأطفال الصغار فيه بيض الشعور من شدة الأهوال والخوف ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ والسماء تتشقق في هذا اليوم العظيم قدره ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ لا بد من وقوع ما وعد به لا محال ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ﴾ إن هذه الموعظة -التي نبأ الله بها على أحوال وشدائد يوم القيامة- تذكرة يتذكر بها المتقون، وينزجر وينتفع بها المؤمنون ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ١٦٩، ١٧٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٤٧، ٤٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ١٩٥، ١٩٦).

سَبِيلًا ﴾ طريقًا موصلًا إليه، وإلى جنته، وذلك باتباع شرعه، فالله تعالى أعطى العباد قدرة على فعل ما أُمروا به، ومكنهم من ذلك [١].

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾

إن ربك يعلم أنك تصلي أقل من ثلثي الليل أحيانًا، وتصلي نصفه أو ثلثه أحيانًا، وتقوم الليل ذلك القدر طائفة من الذين اتبعوك من المؤمنين، والله يعلم مقادير الليل والنهار ويحصي ساعاتها ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾ علم سبحانه أنكم لا تقدرون على معرفة وضبط ساعات الليل لما يستدعي ذلك انتباهًا وعناء فيشق عليكم قيام أكثره تحريًا للمطلوب ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: خفف عنكم وأمركم أن تصلوا من الليل ما تيسر لكم، سواء زاد عن هذا المقدار أو نقص ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ أي: مما لا يشق عليكم، ثم ذكر أسباب هذا التخفيف، فقال: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فيشق على المريض أن يصلي ثلثي الليل، أو نصفه، أو ثلثه، فليصل ما في وسعه وبحسب طاقته، ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وآخرون يسافرون للتجارة ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ يطلبون من رزق الله ما يحتاجون إليه في معاشهم

(١) انظر: تفسير السعدي (ص ٨٩٤)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٤٩، ٥٠).

﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ يقاتلون الكفار ابتغاء مرضات الله، فالمجاهد في سبيل الله، قد يشق عليه طول القيام فخفف الله عنه، كالمسافر والمريض، ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ فاقرءوا في صلاتكم بالليل ما تيسر لكم من القرآن ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ وأقيموا صلاة الفريضة بأركانها وشروطها على أكمل وجه، وأخرجوا زكاة أموالكم للفقراء والمساكين، ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ أي: خالصًا لوجه الله بنية صادقة، ومال طيب خالص لا يخالطه مال حرام، ثم حث على عموم فعل الخيرات، فقال: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ وذلك لأن الحسنة بعشر أمثالها، ويضاعف سبحانه لمن يشاء إلى أضعاف كثيرة ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعات والخير فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلًا، أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بجبر ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب بالليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك[1].

تم بتوفيق الله تعالى تفسير سورة «المزمل»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ١٩٧-٢٠١)، وجامع البيان (٢٩/ ١٧٣-١٧٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٥٢-٥٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٤).

سورة المدثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ
فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ
﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِى وَمَنْ
خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾
وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا
﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ
كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ
أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ
﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ
أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ
وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ
أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ

يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ
يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ
ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ
﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ
ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ
﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا
مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّاۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾
فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ
وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾

المدثر والمزمل بمعنى واحد، وهو المتغشي بثيابه، وهو النبي ﷺ، أمره الله تعالى بإعلان الدعوة إلى الإسلام، فقال: ﴿قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ انهض بجد ونشاط، وأنذر الناس وخوفهم من العذاب إن لم يسلموا، ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ﴾ وخص ربك بالتكبير، وهو التعظيم قولًا وفعلًا، سبحانه وتعالى له الكبرياء والعظمة، وهو أكبر من أن يكون له شريك.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ أمره الله بتطهير ثيابه، وصيانتها عن النجاسات، وجمهور المفسرين من السلف ومن بعدهم على أن المراد بالثياب هاهنا القلب، والمراد بالطهارة إصلاح الأعمال والأخلاق ... والآية تعم هذا كله وتدل عليه»[(١)]. فشمل طهارة الثياب من النجاسة وطهارة القلب وإصلاح الأعمال والأخلاق، وتنقيتها من المفسدات ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ أي: اترك المعصية، وعلى كل تقدير، فلا يلزم تلبسه ﷺ بشيء من ذلك، -لا عبادة الأوثان والأصنام ولا المعاصي- وذلك كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب: ١٠]، ومعلوم أن النبي ﷺ إمام المتقين، وأنه لن يطيع الكافرين ولا المنافقين، فالمعنى كما قال علماء التفسير: هو التنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده

---

(١) انظر: بدائع التفسير لابن القيم (٤/ ٥٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣٧٤-٣٧٥).

ورسوله بهذا، فلأن يأتمر من دونه -في المكانة والمنزلة من الناس- بذلك بطريق الأولى والأحرى[(١)].

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾

أي: لا تعط العطية تلتمس أكثر منها، وقيل: لا تمنن بعملك على ربك تستكثره، فلا تمنن على ربك بما تحمله من أعباء النبوة، وقيل: لا تمنن على الناس بما قدمت لهم من أعمال دينية ودنيوية، وترى لك الفضل عليهم بإحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعالى ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ اجعل صبرك على أذى المشركين لك لوجه الله ﷻ[(٢)].

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾

والناقور: الصور وهو كهيئة القرن -وقد تقدم الكلام على النفخ في الصور[(٣)]- والمعنى: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور للحساب ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ شديد ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ غير سهل لكثرة أهواله وشدائده، ومفهوم وذلك أنه على المؤمنين يسير بإذن الله تعالى[(٤)].

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ۝١٢ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝١٣ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ۝١٤ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝١٥ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ۝١٦﴾

يقول تعالى ذكره متوعدًا لهذا الخبيث الذي أنعم الله عليه بنعم كثيرة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٠٦)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

(٣) راجع تفسير سورة الحاقة، آية (١٣).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٩-١٨٠-١٩٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٦٧-٦٩).

جدًّا، فلم يشكرها، بل كفرها وقابلها بالجحود بآيات الله، وقال -بزعمه- أن القرآن كلام بشر، فعدد الله عليه نعمه، قال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ خلقته في بطن أمه فخرج منها منفردًا لا مال له ولا ولد ﴿وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا﴾ فرزقه الله مالًا كثيرًا ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ ذكورًا حاضرين عنده على الدوام لا يغيبون عنه، ولا يسافرون للتجارة، بل يتولى ذلك من يعملون عندهم، وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ﴿وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا﴾ أي: بسط الله له من الجاه والرياسة والمال، فأعطاه أعظم نعم عند أهل الدنيا ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ثم مع هذا الإحسان والإنعام يطمع أن ينال نعيم الآخرة، كما نال نعيم الدنيا ﴿كَلَّآ﴾ ليس الأمر، كما طمع؛ بل الأمر خلاف ما تمنى وذلك لأنه ﴿كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ معاندًا لها كافرًا بها، فقد عرف الحق فلم ينقد له، ولم يكتف بالإعراض عن الحق؛ بل سعى في محاربته[1]، ولذلك قال سبحانه وتعالى عنه:

﴿سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾

سأرهقه مشقة من العذاب، لا يستطيع تحمله، ثم علل إرهاقه ذلك بقوله: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ﴾ لأنه فكر ما يقول في شأن القرآن من الأقوال الباطلة، ليصرف الناس عنه ﴿وَقَدَّرَ﴾ أي: هيأ الكلام في نفسه، ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ فلُعن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٠٧-٢٠٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٦٧-٦٩).

وعُذب كيف قدر، ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ تكرار لعنه للمبالغة في التعجب منه، ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ما يقول، وبأي شيء يرد الحق، ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ قطب وجهه لما لم يجد ما يطعن به القرآن، ولم يدر ماذا يقول ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ ثم تولى وأعرض عن الحق وتكبر عن اتباعه، ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ قال: ليس هذا الذي جاء به محمد كلام الله، بل هو سحر ينقله محمد عن غيره ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ليس هذا كلام الله، بل هو كلام الإنس، فتجرأ هذا الكافر العنيد، وأنكر أن القرآن كلام الله، ولم يقف عند هذا الحد من الكذب والافتراء، بل وصفه بكلام السحرة الفجار، واتفق المفسرون على أن هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة [(١)]، ولعناده وإصراره على الكفر توعده الله بالعذاب، قال:

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾

سأدخله النار، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ تأكيد لهولها وفظاعتها، ﴿لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ﴾ لا تبقي شيئًا يُلقى فيها إلا أهلكته ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾ أي: مغيرة للجلود حتى تسوّدها، تقول العرب: لاحته الشمس ولوحته، أي: غيرته، فتلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ على النار تسعة عشر من الملائكة الموكلون بها، والتسلط على أهلها، والآية تدل على أن زبانية العذاب الأخروي تفوق الجبابرة في الدنيا أضعافًا مضاعفة، تنبيهًا على

(١) انظر: محاسن التأويل (٧/ ٢١٠، ٢١١)، وتفسير السعدي (ص ٨٩٦، ٨٩٧)، وجامع البيان (٢٩/ ١٩٣-١٩٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٧٣).

هول العذاب[١].

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۖ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾

وما جعلنا خُزان النار -المسئولون عنها- إلا ملائكة غلاظًا شدادًا لا يعصون الله، ويفعلون ما يؤمرون ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ إنما جعلنا عددهم تسعة عشر ابتلاء واختبارًا للذين كفروا، لنعلم من يصدق ومن يكذب، ويدل على هذا ما ذكره سبحانه بعده في قوله: ﴿لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهم اليهود والنصارى أن هذا الرسول حق، فإنه جاء بما يطابق ما عندهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله، ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ إلى إيمانهم، ربما يشهدون من صدق أخبار نبيهم ﷺ ﴿وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ليزول عنهم -أي: أهل الكتاب والمؤمنون- الشك، وهذه مقاصد ينبغي للعاقل أن يسعى لتحصيلها، وهي: اليقين وزيادة الإيمان في كل وقت، وفي كل مسألة من مسائل الدين، ودفع الشكوك والأوهام بالاعتصام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وطلب العلم الشرعي، فما ضل ضال إلا بسبب إهمال مسائل الإيمان، وضعف اليقين، على ما جاء في القرآن والسنة المطهرة.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢١١)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢١٢)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٧٣-٧٥).

﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهم المنافقون ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ من أهل مكة آنذاك، ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ أي: يقولون: ما الحكمة من ذكر هذا العدد من الملائكة، يقولون ذلك سؤال حيرة وشك في حكمة الله، وهذا شأن الكافر دومًا مُتحير شاك غير مطمئن القلب لعدم إيمانه، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فمن هداه الله جعل ما أنزل الله على رسوله رحمة في حقه، وزيادة في إيمانه، ومن أضله الله جعل ما أنزله على رسوله زيادة في شقائه وحيرته، وكل ذلك بمقتضى حكمته البالغة، فيجب على المؤمن أن يتلقى هذه الأخبار بالتسليم الكامل، واليقين الجازم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ لا يعلم جنود الله من كثرتها إلا هو سبحانه وتعالى.

وقد ثبت عن رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، أنه قال: «**فَأَتَيْنَا السَّمَاءَ السَّابِعَةَ ... فَرُفِعَ لِي البَيْتُ المَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ، فَقَالَ: هَذَا البَيْتُ المَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ**»[(١)].

﴿وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ وما النار التي وصفت إلا تذكرة للبشر؛ لينزجروا عن القبائح، وليعلموا كمال قدرة الله سبحانه[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢١٤-٢١٨)، وتيسير الكريم الرحمن (ص٨٩٧)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٢٠٠-٢٠٢)، وأضواء البيان (٨/ ٣٦٤، ٣٦٥).

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾

أقسم سبحانه بالقمر -الذي هو آية من آيات الله الباهرة الدالة على عظمة خالقه- وبعده من المخلوقات، قال ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ ولى ذاهبًا، ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أضاء وأشرق ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ إنها النار إحدى الأمور العظام ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾ أي: إنذار ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ﴾ أي: يقبل النذارة ويهتدي للحق ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ عنها ويردها ولا يقبلها[1].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾

كل نفس بما كسبته وعملته من أعمال الشر مرتهنة، أي: متعلقة بعملها يوم القيامة، ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ﴾ فإنهم لم يرتهنوا؛ بل هم في جنات النعيم، وهم في حال تنعمهم بالجنة وما فيها، يسألون عن أحوال المجرمين، قائلين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ ما الذي أدخلكم النار؟

﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾

يجيب الكافرون على سؤال المؤمنين لهم عن سبب دخولهم جهنم،

(١) انظر: المصدر السابق.

فذكروا أربع صفات أخرجتهم من زمرة المفلحين، وأدخلتهم في جملة الهالكين:

الأولى: ترك الصلاة، وهي عمود الدين والإخلاص لله تعالى.

الثانية: ترك طعام المسكين، الذي هو من مراتب الإحسان للعبيد، فلا إخلاص للخالق، ولا إحسان للمخلوق.

الثالثة: الخوض في الباطل، والتحدث مع أهل الضلال والغواية.

الرابعة: التكذيب بيوم الدين، وهو يوم القيامة[١]، ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ﴾ أي: الموت، وأجمع أهل التفسير على هذا[٢] فحال الموت بيننا وبين التوبة، ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ لأن من شروط قبول شفاعة الشافع، أن يأذن الله له بالشفاعة، وأن يرضى عن المشفوع فيه، والله تعالى لا يأذن بالشفاعة للكافر، ولا يرضى عن الكافرين، فما تنفعهم شفاعة الملائكة، ولا النبيين ولا الصالحين، ويدل على ما ذكرنا قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوۡلٗا ١٠٩﴾ [طه]، وغيرها من الآيات، والله لا يرتضي إلا أهل التوحيد والإخلاص[٣].

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٦٦) بتصرف.

(٢) المصدر السابق.

(٣) انظر: أضواء البيان (٨/ ٣٦٧، ٣٦٨)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢١٥، ٢١٦)، وبدائع التفسير (٥/ ٦٦، ٦٧)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٢٠٦-٢٠٩).

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾﴾

أي شيء جعل هؤلاء الكفار معرضين عن القرآن، ثم شبههم في إعراضهم ونفورهم عن القرآن بحُمُر وحش ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ شديدة النفور، ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ من أسد رأته، أو من الرماة، فإن الكفار في جهلهم بما بعث الله به رسوله كالحُمُر -وهي لا تعقل شيئًا-، فإذا سمعت صوت الأسد، أو الرامي نفرت منه أشد النفور، وهذا غاية الذم لهؤلاء، فإنهم نفروا عن الهدى الذي فيه سعادتهم وحياتهم، كنفور الحمر عما يهلكها[1].

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾

بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب من السماء منشور يخبره أن محمدًا رسول الله، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْآخِرَةَ﴾ ليس الأمر كذلك، أي: ليس السبب في إعراضهم قلة الأدلة الدالة على صدق نبوته ﷺ؛ بل السبب في تماديهم في ضلالهم أنهم لا يؤمنون بعذاب الآخرة، ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ﴾ حقًّا إن القرآن تذكرة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فمن شاء أن

(١) المصدر السابق.

يقرأ القرآن ويتعظ به قرأه واتعظ به، ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فمشيئة الله عامة لا يخرج منها شيء حادث قليل، أو كثيرٌ، وللعبد مشيئة -حقيقةً وفعلًا- وهي تابعة لمشيئة الله جل جلاله، كقوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ أي: هو أهل أن يتقى ويُعبد، فلا يُعصى لأنه الإله الحق، الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وهو أهل أن يغفر لمن تاب وأناب وأحسن واتقى، فهو سبحانه الغفور الودود[1].

آخر تفسير سورة «المدثر»

ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٢١٣، ٢١٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٨٧، ٨٨) وتيسير الكريم الرحمن (ص ٨٩٩، ٩٠٠)، وبدائع التفسير (٥/ ٦٧).

سورة القيامة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ
ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ
ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ
ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا
وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ
ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ
لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾
ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا
فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾
وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ
﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ
﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن
مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ
﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧيَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾

﴿لَآ﴾ هنا ليست للنفي، بل لتأكيد القسم والمقسم عليه[(١)]، فالقسم والمقسم عليه في هذه الآية هو البعث بعد الموت، قال: ﴿أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أقسم الله تعالى بيوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، ليحاسبهم، ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ ثم أقسم بالنفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها على الخير والشر، فإن كانت عملت خيرًا، قالت: هلا ازددت خيرًا؟ وإن كانت عملت سوءًا، قالت: يا ليتني لم أفعل، فإنها تلوم صاحبها، وتندم على ما فات[(٢)].

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾ أيظن ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرقها، فاستبعد الكافر ذلك لجهله بقدرة ربه، فقال سبحانه تأكيدًا لقدرته ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ على أعظم من ذلك ﴿أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ﴾ وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها واحدًا كخف البعير أو حافر الحمار، فلا يستطيع أن يأخذ بيده ما يأكل؛ بل يأخذ طعامه بفمه كسائر البهائم، ولكنه برحمته ولطفه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول الأشياء، ويقبض ويبسط

---

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ٩٠)، وجامع البيان للطبري (٢٩/ ٢١٥) وغيرهما.

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٩/ ٩١)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٢١٨)، وابن كثير (١٤/ ٢٢٣) وغيرهم.

يده، فحسن خلقه[١]، ومن العلماء من قال: لما أنكر الإنسان أن الله لا يبعث الموتى، ولا يقدر على جمع العظام، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ على أن نعيده تمامًا كما أنشأه أول مرة، ومن ضمن تلك الإعادة أن يسوي بنانه، أي: يعدلها وينشؤها كما كانت أول مرة[٢]، وهما قولان حسنان وكل منهما له ترجيح من وجه[٣]، فالقول الأول يدلُ على قدرة الله وعجز الإنسان، والقول الثاني: يدل على قدرة الله على بعث الإنسان بعد موته وتلاشيه، فهو قادر أن يعيده تمامًا، وهذا القول يدل عليه سياق الآيات، والله أعلم.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢﴾

بل الإنسان يريد بإنكاره البعث أن يستمر على فجوره، فيكذب بما أمامه من البعث والحساب وكل ذلك للهرب من التكاليف التي كلف بها، والركون إلى شهوات الدنيا، ثم أخبر سبحانه وتعالى عن سؤال الإنسان عن يوم القيامة، فقال: ﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ يسأل -على وجه الاستبعاد- عن متى يقع يوم القيامة؟ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ إذا كانت القيامة برق البصر وتحير

---

(١) وهذا اختيار أكثر المفسرين، منهم: ابن جرير، انظر: جامع البيان (٢٩/ ٢٢٠).

(٢) انظر: أضواء البيان (٨/ ٣٧٢).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٩٢، ٩٣)، وبدائع التفسير (٥/ ٧٤).

واندهش لما يشاهده من العجائب التي كان يكذب بها، ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ﴾ ذهب ضوء القمر ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ ولم يجتمعا قبل ذلك، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، وقيل: إنهما يجمعان ثم يكوّران، كما قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾ [التكوير][1]، والتكور جمع الشيء بعضه إلى بعض، كتكوير العمامة[2]، ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم يعاين أهوال يوم القيامة ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ﴾ من هذا الهول الذي قد نزل ﴿كَلَّا﴾ ليس هناك شيء ينفع صاحبه، ولا ينجيه فراره ﴿لَا وَزَرَ﴾ لا ملجأ، ولا حصن، ولا شيء يلجأ إليه يُنجيه من أمر الله، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ﴾ إلى الله المرجع والمصير، فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾

يُخبر الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله، الحسنة والسيئة، أولها وآخرها، قديمها وحديثها ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ شهيد على نفسه عالم بما فعله وقدمه ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ ولو اعتذر عن أعماله السيئة، وجادل عن نفسه، فإن هذه المعاذير لا تقبل؛ لأن سمعه وبصره وجميع جوارحه تشهد عليه بما كان يعمل، ولذلك قال تعالى في موضع آخر: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٢٢٤).
(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٩٢).

﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الروم: ٥٧].

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

هذا تعليم من الله ﷻ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه القرآن من جبريل عليه السلام، فكان ﷺ إذا نزل عليه القرآن يحرك به لسانه ويسابق الملك -جبريل- في قراءته، يستعجل به لشدة حرصه على حفظه، فأمره الله إذا جاءه الملك بالوحي يستمع له، وتكفل الله له أن يحفظه في صدره، قال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ إنا علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه -فتحفظه ولا تنساه- ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك على أكمل وجه كما أُنزل[1] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ فإذا أتم جبريل قراءة ما أوحى الله إليك فأنصت إلى قراءته، واستمع إليه، واتبع ما قرأه واقرأه واعمل به، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ بيان معانيه، فوعده الله بحفظه في صدره، وبحفظ معانيه في قلبه.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾

يقول الله تعالى لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ ليس الأمر كما تقولون أيها الناس

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٢٦)، وجامع البيان (٢٩/ ٢٣٤).

أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم، لكن الذي دعاكم إلى هذا القول محبتكم الدنيا العاجلة، وهذا حال أكثر الناس، لاهون متشاغلون عن الآخرة، ثم بين حال أهل السعادة، وأهل الشقاء، فقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ حسنة بهية لها نور من السرور، ونعيم القلوب ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ تنظر إلى ربها، وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ﷻ في الدار الآخرة، في أحاديث صحاح كثيرة لا يمكن ردها ولا منعها، منها قوله ﷺ: «**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**»[(١)].

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ وجوه الفجار في هذا اليوم تكون عابسة خاشعة ذليلة ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ الفاقرة: الداهية والأمر العظيم[(٢)]، فهي توقن وتعلم ستهلك وتعذب عذابًا أليمًا؛ ولذلك تغيرت وجوههم وعبست.

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾

ليس الأمر كما يظن هؤلاء المشركون من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم؛ بل إذا وصلت الروح إلى أعالي صدره -وذلك عند الاحتضار- فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة يظن أن يحصل بها الشفاء مما هو فيه، ولهذا قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ﴾ هل من راق يرقي ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ وأيقن أنه فراق

---

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري (٧٤٣٤)، ومسلم (٦٣٣).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٠٧).

الدنيا بالموت، ﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾ اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر، وصعب الكرب(١)، فقد اجتمع عليه أمران: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه(٢)، وقيل: التوت ساقاه بعضها على بعض عند الموت، وماتت رجلاه فلم تحملاه، وقيل: هو لفهما في الكفن(٣)، وكل ذلك يحصل للإنسان حال الاحتضار وخروج الروح، ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾ إلى خالقها تساق الأرواح بعد خروجها من الأجساد.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

فلم يصدق الكافر بكتاب الله، ولا صلى له صلاة، ولكنه كذب بالحق لما جاءه، وتولى مدبرًا معرضًا عن طاعة الله، ثم ذهب إلى أهله ﴿يَتَمَطَّىٰٓ﴾ يتبختر ويختال في مشيته من الكبر، ليس على باله شيء، فتوعده الله بأن العذاب قد وليه وقرب منه، فقال: ﴿أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ﴾ ثم أعاد الجملة على سبيل التأكيد، فقال: ﴿ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ﴾.

﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةً مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾

أيظن الإنسان أن الله يتركه في الدنيا مهملًا، لا يؤمر ولا يُنهى، وفي قبره

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٠)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٤٦).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٣٢).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٠٩)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٣٣).

سُدى لا يبعث، هذا حُسبان باطل، وظن بالله بغير ما يليق بحكمته؛ بل هو مأمورٌ منهيٌّ محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة، فإنه لما أنكر البعث ظن وحسب أن يترك سُدى، فجاءه تذكيره بأصل خلقته وتطوره فقال: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ﴾ أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء الرجل والمرأة.

﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ فصار علقة في رحم أمه، والعلقة قطعة من دم جامد، ثم خلقه الله حتى صار إنسانًا سويًّا، ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾ فجعل من جنسه النوعين: الذكر والأنثى، ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾ أليس الذي أنشأ من هذا الخلق السوي على هذا الوصف بقادر على أن يعيده كما بدأه؟! بلى يقدر، سبحانه وتعالى على كل شيء قدير [(١)].

آخر تفسير سورة «القيامة»

ولله الحمد والمنة

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٢٤٨-٢٥٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١١٣-١١٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٠٠)، وأضواء البيان (٨/ ٣٧٦-٣٧٧).

سورة الإنسان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا
خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾
إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ
مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ
يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾
وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ
لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾
فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟
جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا
﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن
فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا
كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ
وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا
وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن

فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ
سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ
رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ
وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ
تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن
يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ
وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ٢ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾

اتفق المفسرون على أن «هل» بمعنى قد[١]، أي: قد مر على الإنسان ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ مدة طويلة كان معدومًا لا ذكر له، فأوجده الله بقدرته، ثم بين ذلك فقال: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ﴾ والأمشاج، هو: اختلاط ماء الرجل بماء المرأة، وهذه بداية الإنسان في رحم أمه، ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾ نختبره، أي: خلقناه مبتلين له -لا عبثًا ولا سُدًى[٢]- فهل يرى حاله الأولى فيعلم قدره، أم ينساها وتغره نفسه؟!

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ فأنشأه الله، وخلق له السمع والبصر، وسائر الأعضاء، وجعلها سالمة يتمكن بها من الطاعة والمعصية، ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ بيناه له -طريق الهدى، وطريق الضلال- وذلك بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، ثم بين سبحانه انقسام الإنسان إلى قسمين: شاكر معترف بنعمة الله تعالى عليه، أو كافر جاحد لنعم الله، قال: ﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾.

---

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٣٧٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١١٥).

(٢) انظر: محاسن التأويل، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٣٨).

﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠ وَأَغۡلَٰلٗا وَسَعِيرًا ٤ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ٦﴾

يُخبر الله تعالى، عما أعده للكافرين من خلقه من أنواع العذاب، فذكر منه ﴿سَلَٰسِلَا۠﴾ يسحبون بها، في النار، ﴿وَأَغۡلَٰلٗا﴾ -يقيدون بها- تغل بها أيديهم إلى أعناقهم، و﴿وَسَعِيرًا﴾ وهو اللهب والحريق في نار جهنم.

ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء، ذكر ما أعده لأهل الصدق والإحسان، قال: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ الذين برّوا بطاعتهم ربهم في أداء ما فرضه عليهم، واجتناب معاصيه، وما نهاهم عنه، ﴿يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ من إناء فيه شراب لذيذ ممزوج بالكافور لطيب رائحته ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، وكان مزاج الكأس الذي يشرب به هؤلاء الأبرار كالكافور في طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾ والتفجير وهو الاتباع، والإسالة والإجراء، والمعنى: أن هذا الشراب المُعد لأهل الطاعة هو من عين سهلة التناول دائمًا الفيضان والجريان، يفجرون تلك العين كيف يشاءوا، وحيث شاءوا -من منازلهم وقصورهم- تفجيرًا[1].

﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩﴾

يوفون ما ألزموا به أنفسهم من النذور لله، وإذا كانوا يوفون بالنذر -وهو

(١) انظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٢٥٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٢١)، وابن كثير (١٤/ ٢٤١).

لم يجب عليهم، وإنما هم الذين أوجبوه على أنفسهم- كان قيامهم بالفروض الأصلية التي فرضها الله عليهم من باب أولى، ولذلك أثنى عليهم، ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ منتشرًا فاشيًا يوم القيامة، ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: وهم في حال يحبون فيها الطعام، ولكنهم قدموا حبهم لله على محبة نفوسهم، ويتحرون في إطعام الطعام أحوج الناس ﴿مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ فقيرًا، عاجزًا، عن اكتساب المال الذي يسد به حاجته، واليتيم الذي مات والده، وهو دون سن البلوغ، والأسير: الذي يؤسر فيحبس - كافرًا كان أو مسلمًا[1]-، ثم عللوا إطعامهم، فقالوا -بلسان الحال-: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ لا نريد منكم أجرًا ماليًّا، ولا ثناءً قوليًّا.

﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾

إنما نفعل ذلك لعل الله يرحمنا، ويتلطف بنا، فإنا نخاف من الله ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ ضيقًا ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ طويلًا، وقيل: الشديد[2]، فأمنهم الله مما خافوا منه، ﴿وَلَقَّىٰهُمْ﴾ أي: أكرمهم وأعطاهم ﴿نَضْرَةً﴾ في وجوههم و﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ وأعطاهم بسبب صبرهم على طاعته ففعلوا ما أمروا به، وصبرهم عن معصيته فتركوها خوفًا منه، وصبرهم على أقدار الله المؤلمة، فلم يسخطوا، ولذلك جزاهم ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ عيشًا رغدًا في جنات

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٢٥)، وأحكام القرآن لابن العربي (٤/ ٣٨٩).
(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٤٣).

النعيم، ولباسًا حسنًا من الحرير.

﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾

متكئون في الجنة ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ وهي السُّرُرُ المزينة، لا يرون في هذه الجنة شمسًا تؤذيهم أشعتها، أو شدة حرارتها، ولا ﴿زَمْهَرِيرًا﴾ بردًا شديدًا، ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ قريبة إليهم أغصانها إن قام ارتفعت -الثمار الذي يريد أن يقطفها- بقدره، وإن قعد تدلت له حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت له حتى ينالها، ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ﴾ يطوف عليهم الخدم بأواني الطعام، وهي من فضة، ﴿وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ﴾ قال بعض أهل العلم: معناه: أواني زجاج في بياض الفضة، وصفاء القوارير، والقوارير لا تكون إلا من زجاج[1]- فهذا من عجائب صنع الله ﷻ ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ توجيه إلى حسن الصنع في التسوية في التقدير والمقاسات.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ يسقون الأبرار في هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ أي: خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ فتارة يُمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا﴾ عينًا في الجنة تسمى سلسبيلًا لسلاستها ولذتها وحسنها.

واعلم أن الجنة لها أحكامها الخاصة، فاستعمال أواني الذهب والفضة

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٣٩٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٤٥).

والشرب فيها حرام، قال رسول الله ﷺ: «**الذي يشرب في آنية الفضة إنما يُجرجر في بطنه نار جهنم**»[١]. وقد حرُم على الرجال لبس الحرير كما سيأتي، وكذلك الخمر محرمة في الدنيا بإجماع المسلمين[٢]، وهي من شراب أهل الجنة الذي يتنعمون به، وكل أوصافها في الجنة عكس أوصافها في الدنيا.

﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾

يطوف على أهل الجنة لخدمتهم ولدان من الجنة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ باقون على ما هم عليه من الحسن، لا يهرمون، ولا يتغيرون، ولا تزيد أعمارهم عن تلك السِّنِّ ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ ظننت من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم، وحسن ثيابهم وحُليهم أنهم لؤلؤ متفرق، ولا يوجد منظر أحسن من اللؤلؤ المنثور، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ﴾ ببصرك ﴿ثَمَّ رَأَيْتَ﴾ أي: هناك، يعني في الجنة ونعيمها وسعتها ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ مملكة لله هناك عظيمة، وسلطانًا باهرًا.

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ﴾ أي: لباس أهل الجنة ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج، والإستبراق: ما رق منه و﴿وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ يلبسون أساور

(١) أخرجه البخاري (٥٦٣٤)، ومسلم (٢٠٦٥).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٥٤٢٦، ٥٦٣٢، ٥٦٣٣، ٥٨٣١)، ومسلم (٢٠٦٧).

في أيديهم من الفضة، ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ أي: لا كدر فيه، مُطهر ما في بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى، وسائر الأخلاق الردية[1].

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ أي: هذا النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَآءً﴾ على ما قدمت من طاعة لله في الدنيا ﴿وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ أي: جزاكم الله على أعمالكم القليلة عطاء عظيمًا، وخيرًا كثيرًا، فالرب شكور.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

الله تعالى الذي نزل عليك القرآن، ما افتريته، ولا جئت به من عندك، ولا من تلقاء نفسك كما يدعيه المشركون، نزل فيه الوعد والوعيد، والأمر والنهي، وكل ما يحتاجه العباد، وأمر بتنفيذ شرائعه.

﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ أي: اصبر لحكم ربك القدري، وما قدره عليك من أذى المشركين لك، واصبر لحكمه الديني، وما أمرك به من الطاعات، ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ﴾ من المعاندين الذين يريدون أن يصدوك عن الحق ﴿ءَاثِمًا﴾ متلبس بالإثم والمعصية ﴿أَوْ كَفُورًا﴾ لأن طاعة الكفار والفجار والفساق لابد أن تكون في المعاصي، ولما كان الصبر مُعينًا على القيام بطاعة الله، وكذلك الإكثار من ذكره، قال: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ أول النهار وآخره، ومن العلماء من قال: أي: صل لربك أول النهار

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٤٨).

وآخره[١]، والآية تحتمل الوجهين معًا، فالذكر يدخل فيه الصلاة المكتوبة والنوافل، وما يتبع ذلك من الذكر والتحميد (قول: الحمد لله) والتسبيح: (قول: سبحان الله)، والتهليل (قول: لا إله إلا الله) والتكبير وغير ذلك من أنواع الذكر والصلاة.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ﴾ أي: أكثر من السجود، وكثرة السجود، لا تكون إلا بكثرة الصلاة ﴿وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا﴾ يعني: قيام الليل، وقد تقدم قدر قيام الليل في تفسير أول سورة المزمل.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ٢٧ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ٢٨﴾

إن هؤلاء المشركين يحبون الحياة الدنيا، ويحرصون عليها، ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ﴾ ويدعون وراءهم ﴿يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ شديدًا، فهم يتركون الإيمان باليوم الآخرة، ويتركون الآخرة خلف ظهورهم، فلا يعملون لها، ولا يعبئون بشأنها، ولا بشأن هذا اليوم الثقيل، ﴿نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ﴾ أي: أوجدناهم من العدم، ﴿وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡ﴾ أي: قوينا خلقتهم بالأعصاب والعروق والأوتار، والقوى الظاهرة والباطنة حتى تم الجسم وكمل، ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا﴾ أي: إذا شئنا إهلاكهم أهلكناهم وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم، مخالفين لهم في العمل أطوع لله منهم[٢].

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤٤).

(٢) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٢٨٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٥٠).

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ٣١﴾

إن هذه السورة موعظة وتذكرة لمن تذكر واتعظ واعتبر، فمن شاء اتخذ إلى ربه طريقًا يوصل إليه، فالله بيَّن للناس الحق والهدى، ثم خيَّر الناس بين الاهتداء والنفور مع قيام الحجة عليهم ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ فإن مشيئة الله نافذة، فجعل للعبد مشيئة واختيار، وقيدها بمشيئته سبحانه وتعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ فكل ما يقع في هذا العالم بعلم الله، ويدخل في ذلك أحوال العباد، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء في موضع ليس ثمَّ أفضل منه، فهو سبحانه يعلم من يستحق الهداية، ومن يستحق الضلال، وكل ذلك بمقتضى حكمته البالغة ولذلك قال: ﴿يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ﴾ أي: يوفقه لأسباب الهداية، بتيسير التوبة، ومغفرة الذنوب، فيتوب عليه حتى يموت تائبًا فيدخله الجنة برحمته، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا﴾ أما الذين ظلموا أنفسهم، فماتوا على شركهم، أعد لهم في الآخرة عذابًا مؤلمًا موجعًا[1].

آخر تفسير سورة «الإنسان»

ولله الحمد والمنة، وبه التوفيق

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٤٩، ٢٥٠)، وتفسير السعدي (ص ٩٠٣)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٤٦، ١٤٧) وتفسير الطبري (٢٩/ ٢٧٧).

سورة المرسلات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ
لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ
مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ
لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا
رَوَٰسِىَ شَمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾
ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ
﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾
كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ
﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ
ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ

لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ
﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ
﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ
يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾ ۞ .

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾

يقسم الله تعالى بهذه المسميات، واختلف العلماء في «المرسلات» فقيل: هي الرياح، وقيل: الملائكة، ﴿عُرْفًا﴾ أي: متتالية كعرف الفرس أو أن الملائكة ترسل بالمعروف، قال بعض العلماء: والصواب من القول في ذلك -عندنا- أن يُقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عُرفًا، وقد ترسل عُرفًا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة على أن المعنى بذلك أحد الحزبين دون الآخر فكل ما كانت صفته كذلك، فداخل في قَسَمه ذلك، ملكًا، أو ريحًا، أو رسولًا من بني آدم مرسلًا[1].

﴿فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا﴾ يقسم بالرياح شديدة الهبوب، ﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا﴾ قيل: الريح تنشر السحاب نشرًا، في آفاق السماء، وقيل: الأمطار تنشر الأرض أي: تحييها، وقيل: الملائكة: تنشر الكتب، كتب بني آدم وصحائف أعمالهم، والآية ليست فيها دليل على تخصيص شيئًا من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض -أي: يحييها-، والملائكة تنشر الكتب.

﴿فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا﴾ قيل: الملائكة، تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغي، والحلال والحرام ﴿فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ تلقى

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٤٠٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٥٢)، وجامع البيان (٢٩/ ٢٨٤-٢٨٥)، وبدائع التفسير (٥/ ١٠٧).

إلى الرسل وحيًا فيه ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ إعذار إلى الخلق، وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره [١].

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾

أي: ما وعدتم به من البعث، وقيام الساعة، والجزاء على الأعمال ﴿لَوَٰقِعٌ﴾.

﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ فلم يكن لها نور ولا ضوء، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ أي: فُتحت تشققت وتصدعت، ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ من أصلها ففُتت حتى تصير كالهباء المنثور، أي: كالتراب الذي يطير في الهواء، ونراه في ضوء الشمس.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾

وإذا الرسل أجلت للحكم بينها وبين أممها، ولذا قال: ﴿لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾ استفهام للتعظيم والتفخيم والتهويل؛ لشأن هذا اليوم، ولذلك أجاب سبحانه وتعالى بقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ﴾ أي: يوم الفصل بين الخلائق بعضهم لبعض، وحساب كل منهم منفردًا، ثم توعد المكذبين بهذا اليوم، فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ ويل لهم من عذاب الله يوم القيامة.

---

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾﴾

ألم نهلك المكذبين للرسل المخالفين لهم من الأمم السابقة، ثم نتبعهم بإهلاك من كذب من المتأخرين، كذلك نفعل بالمجرمين المكذبين، فهذه سنته السابقة واللاحقة في كل مجرم، لابد أن يُعذب.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وعيدٌ شديدٌ لهم بعدما شاهدوا الآيات البينات، والعقوبات التي لحقت بالأمم السابقة، فلم يعتبروا، ولم يتعظوا فالويل لهم من عذاب الله.

﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

ألم نخلقكم أيها الناس من ماء ضعيف حقير -بالنسبة لقدرة الله- وهي النطفة[1]، فجمعناه في رحم الأم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم مُعَد لذلك، حافظ لما أُودع فيه، ﴿إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ أي: إلى مدة معينة، وهي مدة الحمل ﴿فَقَدَرْنَا﴾ أي: قدرنا ودبرنا ذلك الجنين في تلك الظلمات، إلى أن جعله الله جسدًا، ثم نفخ فيه الروح، ﴿فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ يعظم نفسه المقدسة لقدرته على ذلك، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَٰمِخَٰتٍ وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾﴾

الكفات: اسم ما يجمع ويضم، والمعنى: ألم نجعل لكم الأرض تضم

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٩/ ١٥٣)، وابن كثير (١٤/ ٢٥٥).

وتجمع ﴿أَحْيَآءً﴾ كثير على ظهرها في المنازل والمساكن نعمة من الله على عباده، ﴿وَأَمْوَٰتًا﴾ غير محصورة في بطنها في القبور، رحمة في حقهم، وسترًا لهم، وحفظًا لأجسادهم من السباع وغيرها.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ﴾ أي: جبالًا تُثبت الأرض لئلا تميد بأهلها وتضطرب ﴿شَٰمِخَٰتٍ﴾ الطوال العراض، ﴿وَأَسْقَيْنَٰكُم مَّآءً فُرَاتًا﴾ عذبًا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ بهذه النعم التي أنعمها على خلقه، واختصهم بها، فقابلوها بالتكذيب والجحود.

﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾﴾

يقول الله تعالى لهؤلاء المكذبين يوم القيامة ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ﴾ في الدنيا ﴿تُكَذِّبُونَ﴾ من عذاب الله لأهل الكفر والعصيان، ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ﴾ أي: إلى ظل نار جهنم إذا ارتفع وصعد معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب، أي: ثلاث قطع من النار [١].

﴿لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ﴾ ذلك الظل -الذي أُمروا أن ينطلقوا إليه- لا راحة فيه، ولا طمأنينة، ولا يُغني من المكث فيه من اللهيب؛ بل اللهب قد أحاط به، ﴿إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ﴾ إن النار تقذف بشرارات كل شرارة منها

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٥٦)، وتفسير الطبري (٢٩/ ٢٩٥، ٢٩٦)، وتفسير السعدي (ص ٩٠٤).

﴿كَٱلْقَصْرِ﴾ مثل القصر، وقيل: الحصن، وقيل: أصولُ الشجر [١]، ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ﴾ أي: حبال السفن، تُجمع حتى تكون كأوسط الرحال[٢]، وقيل: كالإبل السود التي تضرب إلى لون فيه صفرة، وهذا يدل على أن النار مظلمة، شديدة الحرارة، كريهة المنظر ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾﴾

هذا يوم عظيم شديد على المكذبين لا يتكلمون فيه من شدة الخوف، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ في الكلام ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ عن أعمالهم السيئة، بل قامت عليه الحجة، وحق عليهم العذاب بما كانوا يعملون، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ﴾ هذا اليوم الذي يفصل فيه بين الخلائق، فيتبين المحق من المبطل، ﴿جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ﴾ جمعهم -بقدرته- جميعًا وحشرهم في صعيد واحد هم والأمم السابقة ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ﴾ هذا تهديد شديد، ووعيد أكيد، والمعنى: فإن كان لكم حيلة تحتالون بها للنجاة من عذاب الله، فاحتالوا عليَّ ولن تجمعوا ذلك ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

---

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٢٩٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٣)، موقوفًا على ابن عباس.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾

يخبر سبحانه وتعالى عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الوجبات، وترك المحرمات: إنهم يوم القيامة ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ الأشجار المتنوعة لا يصيبهم أذى حر، ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار تجري خلال أشجار جناتهم ﴿وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ يأكلون منها كلما اشتهوا، مقولًا لهم، ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ طعامًا وشرابًا غير منغص ولا مكدر سالم من كل آفة ونقص، جزاء لكم بما كنتم تعملون من طاعات وفعل خيرات ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل، ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

﴿كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾

يقول تعالى ذكره تهديدًا ووعيدًا منه للمكذبين بالبعث: كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ تستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم الحسرات، ومن إجرامهم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ﴾ إذا أُمروا بالصلاة -التي هي أشرف العبادات- امتنعوا ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ هلاك وعذاب وخسران، ومن الويل عليهم، أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير،

فإنهم كذبوا هذا القرآن الكريم، الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فبأي كلام بعد القرآن - كلام الله- يؤمنون[١].

آخر تفسير سورة «المرسلات»

تم بحمد الله وكرمه ومنه تفسير الجزء التاسع والعشرين

(١) انظر: جامع البيان (٢٩/ ٣٠٣-٣٠٥)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٥٨، ٢٥٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٦١-١٦٣)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤١).

سورة النبأ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ
﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾
وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾
وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا
وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾
وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ
فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ
سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا
﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً
وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾
وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾
إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا
يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ
صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ
فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ
ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴿٤٠﴾

﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ۝٥﴾

عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون المكذبون، وإيراد الكلام بصيغة الاستفهام فيه تنبيه على عِظم المسئول عنه، ثم أجاب بقوله: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الخبر العظيم الشأن ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾ فقد طال فيه نزاعهم، وانتشر فيه خلافهم على وجه التكذيب والإنكار والاستهزاء، وهو النبأ الذي لا يقبل الشك، بل المكذبون بلقاء ربهم، لا يؤمنون.

ولذلك قال: ﴿كَلَّا﴾ ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث الله إياهم بعد مماتهم، وتوعدهم جل ثناؤه على هذا القول منهم، فقال: ﴿سَيَعۡلَمُونَ﴾ سيعلم هؤلاء الكفار المنكرون وعيد الله لأعدائه، وما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم أكد الوعيد بتكرر آخر، قال: ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ﴾ أن الأمر لا كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم، ولا معاقبهم على كفرهم به، سيعلمون إذا لقوا الله أن الأمر ليس كما قالوا[1] ثم شرع سبحانه وتعالى يُبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة، والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء -سواء أكان البعث أو غيره- قال:

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ مِهَٰدٗا ۝٦ وَٱلۡجِبَالَ أَوۡتَادٗا ۝٧ وَخَلَقۡنَٰكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ۝٨ وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا ۝٩ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ۝١٠ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ۝١١﴾

ألم نعم عليكم بنعم جليلة، منها: أن جعلنا لكم الأرض ممهدة،

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٥)، وتفسير السعدي (ص: ٩٠٦).

ومهيأة لكم ولمصالحكم، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ تثبت الأرض؛ لئلا تضطرب وتتحرك بكم ﴿وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ أي: خلقكم ذكورًا وإناثًا، ليسكن كل منهما إلى الآخر، فتكون المودة والرحمة بينهم، وتنشأ الذرية ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ راحة لكم تهدئون به وتسكنون، كأنكم أموات لا تشعرون - والسبت والسبات: السكون- ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ تغطيكم ظلمته كما يُغطي الثوب لابسه، لتسكنوا فيه عن الحركة، وتحصل لكم الراحة ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ جعلنا النهار منيرًا مُضيئًا؛ ليتمكن الناس من الحركة فيه، والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارة وغير ذلك[1].

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾

بنينا فوقكم سبع سماوات قوية الخَلق، مُحكمة البناء، أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفًا للأرض، فيها عدة منافع لهم، فذكر سبحانه وتعالى من منافعها الشمس، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ جامعًا للنور والحرارة، قال: السراج هو الشمس، والوهاج: الوقاد المتلألئ، من وهجت النار إذا أضاءت أو البالغ الحرارة من الوهج، وهذه الحرارة فيها منافع ومصالح للخلق كثيرة، ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾ أي: من السحاب ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾ أي: كثيرًا جدًّا، ﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا﴾ لنخرج بذلك الماء الذي أنزلناه من المعصرات

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٥)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٦١).

إلى الأرض حبًّا كالذرة والأرز والشعير مما يأكله الناس، ﴿وَنَبَاتًا﴾ يشمل كل أنواع النباتات من الحشيش وغيره مما جعله الله قوتًا لمواشيهم ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ أي: بساتين ملتفة فيها من جميع أصناف الفواكه[١].

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾

إن اليوم الذي يفصل الله فيه، بين الأولين والآخرين، وهو يوم القيامة ﴿كَانَ مِيقَٰتًا﴾ كان مؤقت بوقت محدد معلوم، لا يزاد عليه ولا ينقص، ولا يعلم وقته إلا الله، ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾ والصور قرن ينفخ فيه للبعث، وقد مضى الكلام عليه[٢]، ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ فيجيئون زمرًا زمرًا، وجماعة جماعة؛ لأن كل أمة أرسل الله إليها رسولًا تأتي مع الذي أُرسل إليها، كما قال: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١]، ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾ أي: تشققت السماء حتى تكون أبوابًا لنزول الملائكة ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ أي: رُفعت من أماكنها في الهواء، وذلك إنما يكون بعد تفتيتها، وجعلها أجزاء متصاعدة كالهباء، فالسراب يُرى كأنه يمر وليس كذلك، والجبال إذا فُتت وارتفعت في الهواء تُرى كالجبال وليست

---

(١) انظر: البحر المديد لابن عجيبة (٨/ ٢٣٤)، وتفسير السعدي (ص ٩٠٦)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٦).

(٢) راجع تفسير سورة الحاقة، آية (١٣).

بجبال، بل غبار غليظ متراكم يُرى من بعيد كأنه جبل[١].

﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾ لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾

إن جهنم كانت راصدة مرتقبة، ﴿لِّلطَّاغِينَ﴾ للذين طغوا في الدنيا، فتجاوزوا حدود الله استكبارًا على ربهم ﴿مَآبًا﴾ منزلًا ومرجعًا يصيرون إليه ﴿لَّابِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ فهؤلاء الطاغين في الدنيا ماكثون مقيمون في جهنم دهورًا متتابعة إلى غير نهاية، والحقب: المدة من الزمن، ولم يبين الأحقاب هنا كم عددها، ولكن بعض أهل العلم قال: الحُقب الواحد ثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة يومًا، كل يوم كألف سنة مما تعدون[٢].

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ لا يطعمون فيها بردًا يُبرّد حر النار عنهم، ولا شرابًا يرويهم من شدة العطش الذي بهم ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ فاستثنى من الشراب الحميم -وهو الماء الشديد الحرارة من شدة الغليان- ﴿وَغَسَّاقًا﴾ وهو ما اجتمع من صديد أهل النار، أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه، ﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾ هذا الذي صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التي كانوا يعملونها في الدنيا.

---

(١) انظر: محاسن التأويل (٧/ ٢٤٥)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٧٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٦٤).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ١٦)، وأضواء البيان (٨/ ٤١٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٦٤) ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٦).

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ لم يكونوا يعتقدون أن بعد الموت سيكون بعث وحساب ودار يجازون فيها، ويحاسبون، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا﴾ بل كانوا يكذبون بالآيات والمعجزات الدالة على صدق رسله فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ كل شيء من أعمال العباد قد علمناها وكتبناها عليهم، وسنجزيهم على ذلك، إن كان خيرًا فخير، وإن كان شرًّا فشر ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ فذوقوا أيها الطغاة هذا العذاب الدائم، فلن نزيدكم إلا عذابًا على عذابكم، وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار، أجارنا الله تعالى منها [1].

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا ﴿٣٥﴾ جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾

لما ذكر سبحانه وتعالى حال المجرمين، شرع في بيان محاسن أحوال المؤمنين، وما أعده لهم من الكرامة والنعيم المقيم، قال: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ فوز ونجاة من كل مكروه، وبعدٌ عن النار ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ وهي البساتين من النخل والأعناب والأشجار المَحوَّط عليها الحِيطان ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ أي: نساء

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٦، ١٧)، وتفسير السعدي (ص٩٠٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٦٨، ٢٦٩).

نواهد في سن واحدة، وأصل اللفظة من الاستدارة، والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل، ويسمين نواهد وكواعب[١]، ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ وأصله من الدّهق، وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدة وعنف وكذلك الكأس الدهاق متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ لا يسمعون في الجنة لغوًا، يعني باطلًا من القول ﴿وَلَا كِذَّابًا﴾ ولا ثَمَّ كذب، بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص، فاللغو والكذب تألم له أنفس الصادقين، بل هو من أشد الأذى لقلوبهم، فأراد الله إزاحة ذلك عنهم، ﴿جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً﴾ تلك النعم وهذا الإحسان منه من ربك ﴿حِسَابًا﴾ كافيًا وافرًا؛ لأعمالهم التي وفقهم الله لها، وجعلها لدخولهم الجنة[٢].

﴿رَّبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا ﴿٤٠﴾﴾

رب السماوات والأرض الذي خلقها، ودبر أمرها، الرحمن الذي

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ١١١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٦٩، ٢٧٠)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٣).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٢٦، ٢٧)، وتفسير السعدي (ص ٩٠٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٧).

وسعت رحمته كل شيء، ثم ذكر عظمته وعظمة ملكه وسلطانه، قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ والروح هو جبريل عليه السلام[1]، ومعه الملائكة مصطفين ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ لا يتكلمون بشفاعة لأحد، وإجلالًا لله تعالى، ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ في الشفاعة، ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ فلا يتكلم أحد إلا بهذين الشرطين: أن يأذن الله له في الكلام، وأن يكون ما تكلم به صوابًا، لأن ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ اليوم الكائن الواقع الذي لا ريب في وقوعه، ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ فمن شاء اتخذ مرجعًا بطاعته، وعملًا صالحًا يقربه إلى ربه ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ إنا حذرناكم أيها الناس عذابًا وقوعه صار قريبًا، فكل ما هو آت فهو قريب ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ يوم يُعرض على كل أحد جميع أعماله، خيرها وشرها، كقوله تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف].

﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ يود الكافر يومئذٍ أنه كان ترابًا، ولم يكن خُلق، ولا خرج للوجود، وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة، وإنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فيفصل بينهما بحكمه العدل، ثم إذا فرغ من الحكم بينهما قال لها: كوني ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر ﴿يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾

---

(١) واختلف المفسرون في المراد بالروح على أقوال، انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٨-٣٠)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٧٩-١٨١)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٤٨)، وأضواء البيان (٨/ ٤١٣).

أي: كنت حيوانًا فأرجع إلى التراب، وقد ورد هذا المعنى في حديث مشهور في الصحيحين [١][٢]، نسأل الله النجاة وحسن الخاتمة.

آخر تفسير سورة «النبأ»

ولله الحمد والمنة

(١) انظر: صحيح البخاري (٨٠٦، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٧١-٢٧٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٨)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٧٩، ؟؟).

سورة النازعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا
ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ
أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ
إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾
هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ
﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾
فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ
﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾
رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ
ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾
مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ
ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾
وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ

رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكۡرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾
إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخۡشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَهَا لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوۡ
ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾

أقسم سبحانه بالملائكة الفاعلة لهذه الأفعال، إذ ذلك من أعظم آياته، فقال: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ الملائكة التي تنزع الأرواح بقوة، والإغراق في النزع، هو: أن يجتذبه إلى آخره ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ هم الملائكة، تنشط الأرواح أي: تجذبها برفق وتخرجها بسرعة خفة[(١)]، وقيل: الجذب لأرواح الكفار، والنشط لأرواح المؤمنين ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ الملائكة تسبح في الهواء، فتنزل من السماء إلى الأرض، وتصعد من الأرض إلى السماء ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ تسبق الملائكة غيرها، وتسبق الشياطين في إيصال الوحي إلى رُسل الله فلا تستطيع الشياطين أن تسترق الوحي ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ هم الملائكة أيضًا الذين وكلَّهم الله أن يدبروا كثيرًا من أمور العالم، من الأمطار والنبات، والأشجار، والحيوانات، والجنة، والنار، وغير ذلك، إنما قال أهل العلم: إن الذي أقسم الله به هم الملائكة؛ لأنه سبحانه ذكر أحوال القيامة بعد ذلك، وأنه -أيضًا- أقسم بالملائكة؛ لأن الإيمان بهم أحدُ أركان الإيمان الستة، ولأن في ذكر أفعالهم هنا -في هذه الآيات- ما يتضمن الجزاء الذي تتولاه الملائكة، عند موت بني آدم، وقبله وبعده[(٢)]، فكل ذلك بإذنه.

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ١١٧).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٧٥، ٢٧٦)، وبدائع التفسير (٥/ ١١٥).

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾

هما النفختان في الصور، فالراجفة هي الأولى، والرادفة النفخة الثانية[1]، كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر]، ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة من شدة ما ترى وتسمع في هذا اليوم العظيم، ﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ﴾ ذليلة حقيرة، مما عاينت من الأهوال، ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ﴾ أي: يقول الكفار في الدنيا -على وجه التكذيب بالبعث- أإنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا، وقبل مماتنا، كقولهم: ﴿أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً﴾ بالية فانية فنرجع بعد ذلك أحياء ﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ استبعدوا أن يبعثهم الله ويعيدهم بعدما كانوا عظامًا بالية جهلًا منهم بقدرة الله، وقالوا: تلك الرجعة خاسرة، قال الله في بيان سهولة هذا الأمر عليه: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ صيحة واحدة ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ أي: الأرض، والمقصود أرض المحشر، كما قال

---

(١) عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**» قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، قَالَ: أَبَيْتُ، قَالَ: أَرْبَعُونَ شَهْرًا، قَالَ: «**أَبَيْتُ وَيَبْلَى كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإِنْسَانِ، إِلَّا عَجْبَ ذَنَبِهِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ**». أخرجه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥).

رسول الله ﷺ: «**يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص نقي**»[(١)]. عفراء: بياض ليس بالناصع، وكقرصة النقي: أي: الدقيق النقي، والمعنى: أن أرض المحشر ليس فيها علامة سكن، ولا بناء، ولا أثر، ولا شيء من العلامات يُهتدى به، بل هي أرض فضاء مستوية[(٢)(٣)].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: هل آتاك حديث موسى مع عدوه فرعون؟! وهل سمعت خبره حين ناداه ربه ﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ الوادي المطهر المبارك -وطوى اسم الوادي- وأمره أن يذهب إلى فرعون ﴿إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ عتى وتجاوز الحد في الظلم والاستكبار، ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ هل لك -أي: هل ترغب يا فرعون أن تتطهر من الكفر والمعاصي ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ وأرشدك إلى معرفة الله ﷻ فتخشاه، فالخشية لا تكون إلا بعد معرفة الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، وجعل الخشية غاية الهداية؛ لأنها ملاك الأمر، فمن خشي الله أتى منه كل خير وما استطاع أن يتعمد معصيته، ومن أَمِنَ اجترأ على كل شيء ولم يتجنب الشر.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

(٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٧٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٧٦-٢٨٠)، وجامع البيان (٣٠/ ٤٠-٤٩)، وتفسير القرطبي (١٩/ ١٨٧-١٩٢)، وتفسير السعدي (ص ٩٠٨، ٩٠٩)، وأضواء البيان (٨/ ٤١٧).

فحري بكل داعي أن يقف هذا الموقف، وهو الدعوة إلى الله بالرفق واللين، حيث لا يوجد أكفر من فرعون، ولا أشد طغيانًا منه، حيث ادعى أنه الرب، فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾، وادعى أنه الإله، قال: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ومع ذلك كله كان منهج الدعوة من النبي الكريم -موسى عليه السلام- إلى أكفر عباد الله -فرعون- بهذا الأسلوب الهادي اللين الحكيم، منطلقًا من قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، ومن قوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ومجموع ذلك كله يشكل منهجًا متكاملًا لطريق الدعوة إلى الله فيما يتعلق بالداعي والمدعو، وما يدعو إليه، وكيفية ذلك، ولله الحمد والمنة[1]...

﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾﴾

فأظهر موسى لفرعون العلامة العظمى الدالة على أنه رسول من عند الله تعالى، وهذه الآية هي: أنه نزع يده، فإذا هي بيضاء تتلألأ نورًا خارج عن العادة، وقلبُ العصا إلى ثعبان، كما قال تعالى: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [الأعراف]،

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٤٩-٥١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨٠، ٢٨١)، وأضواء البيان (٨/ ٤١٩، ٤٢٠).

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾ أي: كَذَّبَ موسى عليه السلام وعصى أشد العصيان وأقبحه، حيث اجترأ على إنكار وجود رب العالمين -بعد ما رأى الآيات الدالات على صدق نبوته- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ أعرض عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه، وخشيته وتوحيده ﴿يَسْعَىٰ﴾ يجتهد في معارضة الحق، وفيما يسخط الله عليه، ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ أي: جمع قومه وأتباعه، فنادى فيهم فقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ﴾ لا رب فوقي، وكان لهم أصنام يعبدوها، وهذه المعصية العظيمة لم يجترئ عليها أحد قبله، ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ﴾ عذبه الله عذابًا شديدًا في الدنيا والآخرة، عذبه في الدنيا بالغرق في البحر، وفي الآخرة بدخول النار، والخلود فيها أبد الآباد، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ جعل الله نكاله بفرعون عبرة لمن يخشاه، فإذا رأى عقوبة فرعون، عرف أن كل من تكبر وعصى، وبارز الملك الأعلى، عاقبه في الدنيا والآخرة، وأما من ذهبت خشية الله من قلبه، فلو جاءته كل آية لم يؤمن بها[1].

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ ۚ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾

يقول الله تعالى للمكذبين بالبعث -بناء على صعوبته على زعمهم- أخلقكم أيها الناس بعد موتكم أشق وأصعب -في تقديركم- ﴿أَمِ السَّمَاءُ﴾ أي:

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٥٢-٥٥)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٩٢-١٩٤)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨٠، ٢٨١).

أم خلق السماء على عظمها، وارتفاعها الباهر، ﴿بَنَىٰهَا﴾ الله، و﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ أي: أعلى سقفها في الهواء، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فخلقها خلقًا مستويًا بإحكام وإتقان يحيِّر العقول، ويذهل القلوب، ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أي: أظلمه، فعمت الظلمة جميع أرجاء السماء ونواحيها، فأظلم وجه الأرض، ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ أي: أبرز نهارها وضوءها وشمسها، وأضاف الضحى إلى السماء، كما أضاف إليها الليل؛ لأن فيها سبب الظلام والضياء، وهو غروب الشمس وطلوعها، ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾ أي: بسطها وقدَّر فيها منافعها، وفسر ذلك بقوله: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾ أخرج منها الماء والنبات والعشب، ﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾ ثبتها في الأرض لتستقر، ولا تميل بأهلها، وهو الحكيم العليم، الرءوف بخلقه الرحيم بهم، ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ متاعًا لكم أيها الناس ولأنعامكم التي تحتاجون إلى ركوبها وأكل لحمها، فالذي خلق هذه الأشياء، وأخرج من الأرض ماءها وثمارها وأشجارها، لا يعجز عن إعادة خلقهم من جديد بعد الموت[1]، ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ أي: الداهية العظمى، التي تطم على سائر الطامات، أي: تعلو وتغلبها، وهي القيامة التي يساق فيها الخلق إلى أرض المحشر للحساب، ولذلك سُميت بالطامة؛ لأنها تطم وتعلو على كل أمر هائل مفظع، فحينئذ ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾ يتذكر ابن آدم جميع أعماله -خيرها وشرها- وذلك سعيه الذي نسيه في الدنيا لغفلته عن

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨١-٢٨٤)، وتفسير القرطبي (١٩-١٩٥-١٩٧)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٥٥-٦١)، وتيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٠٩-٩١٠)، وأضواء البيان (٨/ ٤٢١-٤٢٧).

الحساب، وطول أمله في البقاء ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ وأُظهرت النار إظهارًا بينًا لا يخفى على أحد كائنًا من كان[1].

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

فأما من عتى وتمرد عن طاعة الله، وخالف حدَّ الشريعة بارتكاب العصيان والفساد والضلال ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ على كرامة الآخرة، وعلى أمر دينه، فانغمس في الشهوات المحرمات ونسي الحساب، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ فإن مقره وسكنه ومصيره إلى النار، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾ أي: من خاف القيام بين يدي الله ﷻ يوم القيامة، وخاف حكم الله فيه -وأنه لا يظلم أحدًا وسيجازيه على عمله- فحاسب نفسه ولم يتبع هواه الذي يدفعه إلى المعصية ويمنعه من الطاعة، بل صار هواه تبعًا لأمر الله ورسوله فمن كانت تلك أحواله ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ فإن مرجعه ومصيره إلى جنة الخلد، المشتملة على كل أنواع النعيم الدائم، وهذا جزاء الخائف من الملك الحق، فما أحوج العباد إلى تحقيق الخوف الذي يقودهم إلى كل خير، ويغلق أمامهم باب كل شر[2].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٦١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨٤)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٥٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٩٨)، وتفسير السعدي (ص٩١٠).

(٢) انظر: محاسن التأويل (٧/ ٢٥٦)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٦١، ٦٢)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩١٠)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٩٩، ٢٠٠).

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾

يسألك المكذبون بالبعث عن الساعة متى إرساؤها وإقامتها، أي: متى وقوعها، فأجاب الله -جل وعلا- ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾ ما الفائدة لك، ولهم في ذكر الساعة ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس للعباد مصلحة دينية ولا دنيوية في معرفة متى تكون الساعة؛ بل المصلحة في تقدير الله الحكيم، وهو خفاؤها عليهم وعلى جميع الخلق، ولذلك قال: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾ إلى الله وحده ينتهي علم متى تكون، ولا يعلم ذلك غيره، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ فإنك لم تُبعث لتعلمهم وقت الساعة، وإنما بُعثت لتنذرهم وتخوفهم من أهوالها، وعقاب الله وعذابه، فمن خشي الله، وخاف مقامه، ووعيده، واتبعك كان من المفلحين، وأما من كذبك وخالفك فالخيبة والخسارة عليه، وسيكون من الهالكين ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ أي: إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر والحساب يستقصرون مدة بقائهم في الحياة الدنيا، وكأنها كانت عشية، أي: ما بين الظهر إلى غروب الشمس، ﴿أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ وهو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار[1].

آخر تفسير سورة «النازعات»

والحمد لله رب العالمين

---

(١) المصدر السابق.

سورة عبس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ
فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا
يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ
إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾
بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ
﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ
﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ
طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا
حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً
وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ
مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ
شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

سبب نزول هذه الآيات باتفاق المفسرين، أنه ﷺ كان مشغولًا بدعوة صناديد قريش -أي: عظماء قريش-، فأتاه ابن أم مكتوم -وهو رجل أعمى- وقال: أقرئني يا رسول الله، وعلمني مما علمك الله، وكرر ذلك، فأعرض عنه ﷺ، وأقبل على رجل من الأغنياء طمعًا في تزكيته ودخوله الإسلام، -وكان حريصًا ﷺ على هداية الخلق- فاستمع إلى الغني، وأعرض عن الأعمى الفقير لأنه كان مسلمًا، فالنبي ﷺ كان مطمئنًا له، لما هو عليه من خير، أما الغني كان كافرًا من كفار قريش فطمع النبي ﷺ في إسلامه، وكان قصده صالحًا، لكن نبهه الله إلى طريق الأولى في الدعوة، وعاتبه هذا العتاب اللطيف[1]، قال تعالى:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾

عبس في وجه الأعمى ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ وأعرض عنه ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ وأي شيء يجعلك داريًا بحاله حتى تعرض عنه، لعله يتطهر من ذنوبه ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ أو يتعظ بما يسمعه منك من مواعظ فينتفع بها، ﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾ فأما من كان غنيًّا بالمال، واستغنى به عن الإيمان، وسماع القرآن،

---

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٤٣٠، ٤٣١)، وتفسير ابن جرير الطبري (٣٠/ ٦٤)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٠٢)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٨٦، ٢٨٧)، وتفسير السعدي (ص ٩١٠)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٥٧) وغيرهم.

والهداية والإرشاد ﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ فأنت تتعرض له بالإقبال عليه رجاء دخوله في الإسلام ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾؟ ما أنت مطالب بتزكيته وإصلاحه، ولست محاسبًا على ما عمله من شر، ﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ﴾ سريعًا طالبًا لما عندك من الخير المتمثل في أحكام الشرع الرشيد، ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ﴾ يخاف ربه، ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ تتشاغل عنه بغيره من المشركين.

وهنا فائدة كبيرة للدعاة: وهي الإقبال على من جاء مفتقرًا للموعظة، مقبلًا إلى الله بنفسه، حريصًا على تعلم أُمور دينه، ولا يتصدى الداعي للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي، لعدم رغبته في الخير، وإعراضه عن معرفة دينه[(١)].

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾

ليس الأمر كذلك، إنما هي موعظة وتذكرة من الله يذكر بها عباده ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ﴾ فمن شاء من عباد الله ذكره، وانتفع به، ثم بين قدر وعظم هذه الموعظة حتى لا يستهين العباد بها، قال: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ فهذه الموعظة التي جاءت من هذه السورة؛ بل القرآن كله في صحف معظمة وموقرة ﴿مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ عالية القدر، مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بل هي

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٠٤، ٢٠٥)، وابن كثير (١٤/ ٢٨٦، ٦٨٧)، والمختصر في تفسير القرآن (ص ٥٨٥)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩١٠، ٩١١).

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ وهم الملائكة، فهم سفراء بين الله تعالى وعباده- وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح والخير- ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ كرام على الله، خلقهم كريم، وأفعالهم بارة طاهرة كاملة، كثيري الخير والبركة، ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون على خُلق جميل، وأن تكون أفعاله وأقواله على السداد والرشاد[١].

﴿قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ﴿١٩﴾ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ ﴿٢٣﴾﴾

لعن الإنسان الكافر المكذب لكثرة تكذيبه بلا دليل، بل مجرد عدم العلم، وعدم التصديق بالمعاد، ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ ما أشد كفره مع كثرة إحسان الله إليه، ثم شرع سبحانه وتعالى في بيان حقيقة خلق الإنسان، وبعض نعمه عليه من أول ما خلقه إلى منتهى عمره، وهذه النعم كان يجب عليه شكرها بالطاعة فلم يفعل، فبيَّن ذلك بقوله تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ من أي شيء خُلق الإنسان حتى يتكبر على ربَّه، ويتعاظم عن طاعته، ثم بين -جل ثناؤه- حقيقة خلقه، فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ﴾ قدر أحوال خلقه، وهو في رحم أمه: نطفة تارة، ثم خلقه فقدره، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ وهو خروجه من بطن أمه[٢]، ومن العلماء من قال: يسر له سبيل الدين، وبيّن له التكاليف للاختبار والامتحان هل يطيعه أم يعصيه؟ والقول الثاني أرجح لأن تيسير

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: تفسير ابن جرير الطبري (٣٠/ ٧١).

الولادة أمر عام في كل حيوان، أما تيسير الدين فهو خاص بالإنسان[١]، والله تعالى أعلم ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ﴾ أي: بعد موته أكرمه .. بالدفن ولم يجعله مطروحًا على وجه الأرض تأكله الطير والسباع، كالحيوانات، ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ أي: بعثه بعد موته، ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الجاحد أنه أدى حق الله عليه في نفسه وماله، بل لم يؤد ما فرض عليه من فرائض، ثم أرشده الله تعالى إلى النظر والتفكر في النعم التي جعلها سبحانه سببًا في بقائه، فقال[٢]:

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ٣٢﴾

فلينظر الإنسان الكافر بالله إلى طعامه الذي يأكله، وبه معاشه، كيف صنعه الله وهيأه لكي يكون غذاء صالحًا ﴿أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا﴾ أنزلنا المطر على الأرض بكثرة، ﴿ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا﴾ ثم فتقنا الأرض فدخل فيها الماء وتخلَّل في أجزائها الحب المودع ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا﴾ يعني حب الزرع، وهو كل ما أخرجته الأرض من الحبوب، كالأرز والقمح والشعير وغير ذلك.

﴿وَعِنَبٗا﴾ والعنب معروف، ﴿وَقَضۡبٗا﴾ وهو كل ما يقضب أي: يُقطع ليؤكل رطبًا، وقيل هو: علف الحيوان، ﴿وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا﴾ فالزيتون يؤكل

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٢٩١)، وأضواء البيان (٨/ ٤٣٠)، وتفسير السعدي (ص ٩١١) وغيرهم.

(٢) انظر: المصدر السابق.

ويعصر؛ لينتفع بزيته، والنخل يؤكل ثماره بلحًا وتمرًا، ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾ أي: بساتين فيها الأشجار الكثيرة الطويلة العظيمة الملتفة، ﴿وَفَٰكِهَةً﴾ أي: ما تأكله الناس من أنواع الفواكه؛ كالتين، والخوخ، والعنب، وغيرهم، ﴿وَأَبًّا﴾ هو ما تأكله البهائم من العشب.

﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ كل هذه النعم أنبتها الله ﷻ متاعًا لكم أيها الناس، ولانتفاعكم وانتفاع بهائمكم[1].

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾

الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة، وفي هذا اليوم من الشدائد والأهوال ما لا يستطيع إنسان وصفه، ويدل على ذلك قوله: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ أي: يهرب من أخيه لاشتغاله بنفسه، فلا يلتفت إليه، ولا يسأل عنه ﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ وكذلك يهرب من أمه وأبيه، ويهرب من زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ وأولاده ﴿لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ لكل إنسان في هذا اليوم شغل يشغله عن غيره وإن كان أحب الناس إليه[2].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾

في هذا اليوم العظيم ينقسم الناس إلى فريقين: سعداء، وأشقياء،

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢١٠-٢١٣)، وجامع البيان (٣٠/ ٧٢-٧٧)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٢، ٢٦٣)، وابن كثير (١٤/ ٢٩٢-٢٩٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

فالسعداء تكون وجوههم ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ أي: مشرقة مضيئة، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ مسرورة فرحة بما أعطاها الله تعالى من النعيم والكرامة، وقد ظهرت البشرى على وجوههم، وأما الأشقياء فوجوههم في هذا اليوم ﴿عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ غبار ودخان، ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ يغشاها سواد، فهي مظلمة سوداء قد أيست من كل خير، ﴿أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ هؤلاء الذين هذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله، الفجرة في دينهم، لا يبالون ما أتوا به من معاصي الله، ولا ما ركبوا من محارمه، فجزاهم الله بسوء أعمالهم ما أخبر به عباده[1].

تم بحمد الله تفسير سورة «عبس»

(١) انظر: نفس المصدر.

سورة التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ
سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾
وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ
سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ
كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ
مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا
عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ
عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾
وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ
مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢٩﴾﴾

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾

يبين لنا الله ﷻ في هذه الآيات ما سيقع يوم القيامة من انفراط العالم بعد إحكامه، وتغير حاله إلى حال آخر، لأن الله جعل لهذا العالم أجل معلوم ينتهي إليه على الوجه الذي يعلمه الله وحده، فقال: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي: إذا جاء هذا الأجل توقفت الشمس عن حركتها، وكورت، أي: جمع بعضها على بعض، ثم لفت[1]، وذهب ضوؤها، ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي: إذا الكواكب تساقطت ومُحي ضوؤها، ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ تحركت عن أماكنها، وتغيرت فصارت هباء منبثًّا، أي: ترابًا منتشرًا، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ والعشار جمع عُشراء وهي الناقة -أنثى الجمل- أتى على حملها عشرة أشهر، وهي أنفس أموال العرب، ومع ذلك تُركت مهملة لاشتغال أهلها بأنفسهم، فقد جاءهم ما يذهلهم عن رعايتها، ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت ليقتص الله من بعضها لبعض، وقد جاءت أحاديث تصرح بحشر البهائم يوم القيامة للقصاص، مع أن البهائم ليست مكلفة، وليس لها جزاء -لا جنة ولا نار- ولا عليها حساب، إنما ليرى العباد كمال عدل الله تعالى، حتى إنه ليقتص من الشاة القرناء -أي: ذات القرون- للشاة الجماء -أي: مقطوعة القرن[2]، فالذي نطح بقرنه مقطوعة القرن يُقتص منه، ثم يقال لهم كونوا ترابًا، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي: أوقدت فصارت على عظم حجمها

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٨٢).

(٢) انظر: صحيح مسلم (٢٥٨٢)، ومسند أحمد (٢/ ٣٦٣).

نارًا تتوقد[١].

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ۝١١ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝١٢ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ۝١٣ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ۝١٤﴾

وإذا النفوس قرنت، أي: يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء في النار، فذلك تزويج الأنفس، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾ يعني: البنات التي كانت طوائف من العرب يقتلونهن ويدفنهن أحياء خشية العار أو خشية الفقر، فجاء الإسلام فحرم قتل البنات، وجعل حقوقًا عظيمة للمرأة، وأعزها غاية الإعزاز الذي لم يكن لغيرها من نساء الملل المختلفة، على خلاف ما يزعم أعداء الإسلام من ضياع حقوق المرأة المسلمة، والمقام لا يتسع لبسط المسألة.

فيوم القيامة تُسأل الموءودة عن سبب قتلها، وبأي ذنب قُتلت، ليكون ذلك تهديدًا لقاتلها، فإذا سُئل المظلوم، فما ظن الظالم إذًا؟!

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ وإذا الصحف فتحت بعد أن طويت بموت العبد، والمراد صحف الأعمال التي كتبت الملائكة فيها ما فعل أهلها من خير أو شر، فتحت ليقرأ كل إنسان صحيفة أعماله.

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠-٨٠-٨٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢١٧، ٢٢١)، وتفسير السعدي (ص ٩١٢)، وابن كثير (١٤/ ٢٩٩-٣٠٥)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٦٥، ٢٦٦).

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي: نزعت من مكانها، كما ينزع الجلد من الكبش، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. فكان المعنى: قلعت السماء فطويت، ﴿وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ أوقدت وأُحميت ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾ أي: قُربت للمتقين، ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ فعندما تحصل كل هذه الأهوال حينئذ تعلم كل نفس ما عملت، وقدمت لذلك اليوم من خير أو شر[(١)].

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾

يقسم الله تعالى ﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾ وهي النجوم التي تخنس بالنهار، أي: تختفي، وتظهر بالليل، وسمى الشيطان خناسًا: لاختفائه إذا ذكر العبد ربه[(٢)]، قال تعالى: ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس].

﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ التي تجري في أفلاكها، والتي تغيب عند طلوع ضوء الصبح، فلا نرى النجوم في الصباح، مثل حيوان الظباء تدخل كِنَاسها، أي: بيتها، ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ والليل إذا أدبر، وقيل أقبل، ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي: أضاء وظهر نوره، وكأنه سبحانه بعد ما أقسم بالنجوم وأحوالها، أقسم

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: بدائع التفسير لابن القيم (٥/ ١٣١، ١٣٢)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣١١، ٣١٢).

بالليل وظلامه إذا ذهب وأدبر، وبالصبح وضيائه إذا أشرق[١]، وهذه آيات عظام أقسم الله بها على صدق القرآن، قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ إن هذا القرآن لكلام الله بلغه رسول كريم الخلق، بهيُّ المنظر -وهو جبريل عليه السلام- أعظم الملائكة ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ ومن صفاته عليه السلام أنه قادر على تنفيذ ما أمره الله به لقوته ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾ أي: له مكانة وجاه عند الله تعالى، فهو أقرب الملائكة إليه، وفي الآية دليلٌ على علو منزلة جبريل عليه السلام إذ أنه قريب من ذي العرش سبحانه وتعالى ﴿مُّطَاعٖ﴾ أي: أن جبريل عليه السلام مطاع ﴿ثَمَّ﴾ هناك في الملأ الأعلى، فله أعوان وجنود من الملائكة يطيعونه إذا أمرهم، ﴿أَمِينٖ﴾ ذو أمانة، وهذه تزكية عظيمة من الرب عز وجل، ووصف الله له بالأمانة دليل على حفظه ما حمله، فلا يزيد ولا ينقص، وهذا كله يدل على شرف القرآن عند الله تبارك وتعالى، فإنه بعث به هذا الرسول الكريم الموصوف بتلك الصفات، ثم زكى رسوله البشري محمدًا ﷺ الذي نزل عليه القرآن بواسطة جبريل، قال: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾ وهذا أمر يعلمونه الكفار، ولا يشكون فيه، وإن قالوا بألسنتهم خلافه، فهم يعلمون أنهم هم الكاذبون، وإنما قالوا على رسول الله ﷺ ما قالوا ليطفئوا نور الرسالة التي جاء بها، فهم يعلمون أنه ليس بمجنون؛ بل هو أكمل الناس خلقًا وعقلًا ﷺ[٢].

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ١٣٤).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٣١٤، ٣١٥)، وتفسير السعدي (ص٩١٢)، وأضواء البيان (٨/ ٤٤٤، ٤٤٧)، وبدائع التفسير (٥/ ١٣٦، ١٣٧).

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾

ولقد رأى رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام بأفق السماء الواضح، ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ والضنين هو البخيل، وأجمع المفسرون على أن الغيب هاهنا: القرآن والوحي[١]، فالنبي ﷺ لم يبخل بالوحي، ولم يشح بشيء منه، ولم يقصر في تبليغه، وتعليمه الناس، فنفى سبحانه عن رسوله ﷺ كل ذلك، وزكاه القرآن أعظم تزكية، فلهذا قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ ليس هذا القرآن من قول الشيطان ووحيه، فلا يقدر عليه ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾؟ وهذا من أقوى الطرق لإظهار الحجة، أن تبين للسامع الحق ثم تقول له: ماذا تقول خلاف هذا؟ وأين نذهب بعد أن ثبت لك الحق؟! وعلمت أن القرآن ليس فيه شبهة، وقد وصل لكم عن طريق رسولين كريمين قد زكاهما الرب تعالى، فليس لعاقل أن يحيد عن القرآن، وكل ذهاب إلى غيره ذهاب إلى ضلال وهلاك[٢].

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

هذا القرآن تذكير للإنس والجن، يتذكرون به الأوامر والنواهي، وما خلقوا من أجله ألا وهو عبادة الله وحده، ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ أي: أن

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ١٣٨).

(٢) انظر: أضواء البيان (٨/ ٤٤٧، ٤٤٨)، وبدائع التفسير (٥/ ١٣٨-١٤٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣١٥-٣١٩).

القرآن ذكرى لمن أراد الاستقامة على طريق الحق وأخذ بأسباب الهداية، ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ولا تشاءون استقامة ولا غيرها إلا أن يشاء الله ذلك، فمشيئته سبحانه لا يمكن أن تعارض، فالآية دليل واضح على احتياج العبد إلى ربه في كل شيء، فكل خير يعمله لا يكون إلا بتوفيق الله، وكل شر يعمله لا يكون إلا بخذلانه[1].

آخر تفسير سورة «التكوير»

ولله الحمد والمنة

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة الانفطار

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ
مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ
مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾
كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ
لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ
شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾

إذا السماء انشقت، وإذا نجومها تناثرت فتساقطت، ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ فَجَّر الله بعضها في بعض، عذبها في مالحها، ومالحها في عذبها، وفتح بعضها على بعض فاختلطت، فصارت بحرًا واحدًا، ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ قلبت وأخرج ما فيها من الأموات أحياء، ليحاسبهم الرب ﷻ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ فإذا كانت الأشياء، ووقف الناس بين يدي الله؛ ليحاسبهم ويجازيهم على أعمالهم، علمت كل نفس ما قدمت من أعمال صالحة أو سيئة، وما تركت من خير أو شر، أو أخرت عملًا فلم تعمله[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾

يا أيها الإنسان، أي شيء خدعك وجرأك على عصيان ربك الكريم، والانحراف عن طريق الهداية الذي أراده لك، وذكر ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾ للمبالغة في المنع عن الاغترار، فالاستفهام والسؤال في الآية بمعنى المنع، لأن من معاني الكريم: العظيم الجليل السيد المطاع، الكامل في صفاته وأفعاله[٢]، ومن كان كذلك فجدير أن يُخاف عقابه، ويخشى انتقامه وعذابه، ولا يُغتر بستره على عباده، فلم يعاجلهم بالعقوبة؛ لأنه الحليم الرحيم، ويزيد من الرهبة والخوف من الله أن نعلم أنه قوي عزيز ذو انتقام، بطشه شديد،

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٠٦)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣١٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٧٥، ٢٧٦).

(٢) انظر: محاسن التأويل (٧/ ٢٧١).

وأخذه أليم، وعلى الإنسان الذي اغتر برحمة الله وكرمه وعفوه فعصى ربه، أن يُذكّر نفسه بقول الله تعالى: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾[الحجر].

ومع أنه الغفور الرحيم الكريم خلَّد الكفار في النار أبد الآباد، وأدخل بعض عصاة المسلمين النار ثم يخرجوا برحمته أو بالشفاعة، وسلط العذاب والمحن والأمراض والفقر والجوع على بعض عباده، وهو قادر على رفع كل هذا البلاء، ولكن لحكمة لم يرفعه، فالخوف والحب هما اللذان يحثان الإنسان على العمل، فالخوف يزجره عن فعل المعصية، وحب الله ورسوله يحمله على العمل.

أما من زعم أنه يرجو رحمة ربه ويحسن الظن به، مع انكبابه على المعاصي وانهماكه في الشهوات المحرمة، وإعراضه عن طاعة الله ورسوله، فقد ضل ضلالًا مبينًا، فأكثر الناس معرفة بالله، وبأسمائه وصفاته، الأنبياء والصالحون، فاقرأ في سيرة النبي ﷺ والصحابة والصالحين، وكيف كانت طاعتهم لله، وبعدهم عن المعاصي، ومع هذا كانوا أشد الناس خوفًا من الله تعالى، فهل هؤلاء لم يحسنوا الظن بالله؟! ولم يرجو رحمة الله؟! ولم يعلموا أن ربهم كريم؟! حاشاهم فاحذر من خداع النفس والشيطان، واستعن بالله ثم بالعلم على الفهم الصحيح لكتاب الله تعالى.

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

يذكر الله تعالى العباد ببعض نعمه عليهم، فهو الذي خلقك أيها الإنسان

وجعلك سويًّا، معتدل القامة، حسن الهيئة، ولم يجعلك كالبهائم، ولهذا قال: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ فالله قادر على أن يجعل صورتك على شكل الحيوانات، كالحمار، أو الكلب، ولكن بكرمه ولطفه وإحسانه لعباده خلقهم في أحسن هيئة ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ فالذي حملكم على مقابلة كرم الله وعطائه بالمعاصي، من تكذيب قلوبكم بالمعاد، والحساب، والبعث، والنشور، و«الدين» من أسماء يوم القيامة ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ﴾ وإن عليكم ملائكة يحفظون أعمالكم ﴿كِرَامٗا كَٰتِبِينَ﴾ كرامًا على الله يكتبون أعمالكم ﴿يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾ يعلم هؤلاء الملائكة الحافظون لأعمالكم ما تفعلون -من خير أو شر- ويحصون ذلك عليكم[1].

فحري بالعاقل أن يستحي من الملائكة الكرام أن تراه وهو يرتكب المعصية، كما يستحي من الرجل أن يراه على معصية؛ بل استحياؤه من الله وملائكته أحق من استحيائه من الناس.

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ كثيرو فعل الطاعات والخيرات والخير لفي نعيم الجنة، نعيم دائم أبد الآباد، ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ﴾ والفجار الذين عصوا الله وخرجوا عن

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٣٢٢، ٣٢٣)، وجامع البيان (٣٠/ ١١٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩١٤).

طاعته، وفجرت قلوبهم وفجرت أعمالهم ﴿لَفِي جَحِيمٍ﴾ لفي عذاب جهنم ﴿يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ يعذبون في النار يوم القيامة، ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ لا يغيبون عن عذاب النار ساعة واحدة، ولا يخفف عنهم من عذابها، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ تفخيم وتعظيم لشأن يوم القيامة، ثم أكده بقوله: ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ ثم فسره بقوله ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ في هذا اليوم لا يملك أحد لأحد نفعًا، وبما هو قادم عليه، هل مصيره إلى الجنة أم إلى النار؟! ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ والأمر كله يوم القيامة لله، يفصل بين العباد[1].

تم بحمد الله تفسير سورة «الانفطار»

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة المطففين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا
كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى
سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ
﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا
تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟
يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ
﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى
عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ
﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ
نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ
بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ
ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ
أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ
﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾

التطفيف: التنقيص، والمراد بالتطفيف هاهنا: البخس في المكيال والميزان، وافتتاح السورة بالويل للمطففين، يشعر بشدة خطر هذا العمل، وعدهم بالويل وهو الهلاك والخسارة، وهؤلاء هم ﴿الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ إذا أخذوا الكيل من الناس -عند الشراء لأنفسهم- يأخذونه وافيًا وزائدًا، ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾ وإذا كالوا للناس، أو وزنوا لهم -ما لهم من حق- ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون، إما بمكيال أو ميزان ناقصين، وإما بعد ملء المكيال والميزان، فهذه سرقة وأخذ أموال الناس بغير حق، وقد أمر الله تعالى في أكثر من موضع في القرآن بالوفاء في الكيل والميزان، منه قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، ولذلك قال متوعدًا لهؤلاء المطففين: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾ ألا يتيقن هؤلاء الذين يفعلون هذا العمل المنكر أنهم سوف يبعثون، ويقفون بين يدي من يعلم السرائر والضمائر ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظيم لما فيه من الأهوال، والشدائد، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يوم تقوم جميع الخلائق للحساب، حفاة عراة في موقف صعب حرج، وهذا تهديد من الله لكل مطفف أن الله تعالى مطلع على فعله، وهو الذي سيحاسبه ويناقشه، فسبحانه لا تخفى عليه خافية[(١)].

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٣٢٦-٣٢٨)، وجامع البيان (٣٠/ ١١٣-١١٨)، وأضواء البيان (٨/ ٤٥٤-٤٥٩).

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾

ليس الأمر كما يظن هؤلاء الكفار، أنهم غير مبعوثين، ولا معذبين، إن كتابهم الذي كتب فيه أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ﴿لَفِى سِجِّينٍ﴾ ثم فسر ذلك بقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾ أي: أنه أمر عظيم، وسجن مقيم، وعذاب أليم، وكتاب مكتوب فيه أعمالهم الخبيثة ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ وقد تقدم الكلام على معنى الويل، ثم وصف المكذبين بأنهم: ﴿ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ يوم الجزاء والحساب، ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ وما يكذب بيوم القيامة إلا معتدٍ، ومتجاوز لحدود الله، بفعل الحرام وكثير الآثام وأنواع المعاصي [(١)].

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾

أي: إذا تقرأ عليه آيات الكتاب الحكيم (القرآن) المنزل على رسول الله ﷺ كذب وعاند، ورد الحق و﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ قال: هذا القرآن هو الذي سطرته وكتبته الأمم السابقة من أخبار وأحاديث ﴿كَلَّا ۖ﴾ أي: ليست هذه الآيات بأساطير الأولين، فالقرآن كلام الله، ووحيه، نزله على

(١) انظر: تفسر الطبري (٣٠/ ١١٨-١٢٢)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٣٠-٣٣٢)، وتفسير السعدي (ص٩١٥)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٨٢، ٢٨٣).

رسوله الأمين ﷺ، ﴿بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إنما حجب عن قلوبهم الإيمان بالقرآن الران الذي ملأ قلوبهم، والران هو: الذنب على الذنب حتى يعمي القلب، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ حقًّا إنهم محجوبون عن الله تعالى، فلا يرون ربهم، ولا ينظر إليهم، ولا يكلمهم، ولهم عذاب أليم وعدم رؤية الله ﷻ أشد أنواع العقوبات، لو كانوا يفقهون ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ ثم مع الحرمان من رؤية الرحمن هم في النار، ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ ثم يُقال لهم يوم القيامة -تقريعًا، وتوبيخًا، وتصغيرًا لشأنهم-: هذا العذاب الذي لقيتموه هو الذي كنتم تكذبون به في الدنيا عندما يخبركم به رسولكم [١].

﴿كَلَّا إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾

لما ذكر الله تعالى أن كتاب الفجار في أسفل الأمكنة وأضيقها، ذكر أن كتاب الأبرار المتقين الصالحين في أعلى الأمكنة وأوسعها، فهو عند الله في السماء، وأن كتابهم مرقوم، أي: مكتوب بأمان من الله إياه من النار يوم القيامة، والفوز بالجنة، وكتاب الأبرار هذا ﴿يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ من الملائكة، والنبيين، والصديقين، والشهداء، وسادات المؤمنين، ثم ذكر أن هؤلاء

(١) انظر: المصدر السابق.

الأبرار المكثرين من الطاعات ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ والنعيم يشمل: نعيم القلب، والروح، والبدن، نعيم دائم لا ينقطع، ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ على السرر المزينة بالفرش الحسان ﴿يَنظُرُونَ﴾ إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وأعظم نعيم هو النظر إلى وجه الله ربهم جل جلاله، ﴿تَعْرِفُ﴾ أي: من ينظر إليهم ﴿فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ وهو ما يظهر على وجوههم من بهاء النعيم ورونقه، فإن اللذة والسرور الدائم، يكسب الوجه نورًا وحُسنًا وبهجة[١].

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾

وهو أطيب ما يكون من الأشربة طعمًا ورائحة، وهذا الشراب مختوم، أي: أن يختم له بريح المسك، أي: خاتمه طعمه مسك، ولذلك حث سبحانه وتعالى عباده على التنافس على الدرجات العُلا في الجنة، فقال ﴿خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَـٰفِسُونَ﴾ أي: يتسابق المتسابقون بالأعمال الصالحة التي ترضي الله، واجتناب المعاصي التي تسخطه عليهم إلى جنة الخلد، ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ ومزاج هذا الشراب من تسنيم، وهي عين ﴿يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ وهي أعلى وأشرف أشربة الجنة، يشربون هذا الشراب خالصًا ليس ممزوجًا بغيره[٢].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٢٦-١٣١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٣٤-٣٣٦)، وتفسير السعدي (ص ٩١٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٥٠-٢٥٤).

(٢) انظر: المصدر السابق، وانظر: بدائع التفسير (٥/ ١٥٨).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾

إن الذين أجرموا وكفروا بالله تعالى كانوا في الدنيا يضحكون استهزاءً بالذين آمنوا بالله ورسوله، وهذا من أعظم أنواع الاغترار إذ حكموا لأنفسهم أنهم من أهل الهدى، وأن المؤمنين هم الضالون ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ وإذا مروا بالمؤمنين يغمز بعضهم بعضًا، ويشيرون بأعينهم سخرية منهم، ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ﴾ وإذا رجعوا إلى أهليهم ﴿ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ﴾ رجعوا فرحين بما هم عليه من الكفر والاستهزاء بالمؤمنين، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: إذا رأى الكفار أصحاب رسول الله ﷺ ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾ لأنهم -بزعمهم- اتبعوا النبي ﷺ ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ﴾ وما أرسلوا هؤلاء الكفار على المؤمنين لحفظ أعمالهم، ولا وكَّلهم الله بهذا حتى يقولوا عليهم ما قالوا، ويحرصوا على رميهم بالضلال[1].

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

فيوم القيامة يكون المؤمنون في غاية السعادة والراحة والطمأنينة، وهم كذلك يضحكون من الكفار ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ على السرر ينظرون إلى ما أعد الله لهم من النعيم، وينظرون إلى أهل النار، كيف يعذبون،

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٥٥، ٢٥٦)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩١٦).

فيضحكون منهم، كما كانوا يضحكون منهم في الدنيا ويستهزءون بهم، ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ هل جُوزي الكفار وأُثيبوا على ما كانوا يفعلون في الدنيا من سخريتهم وضحكهم من المؤمنين؟! نعم ثوبوا وجُوزوا ما كان يفعلون، عدلًا من الله وحكمة، ولا يظلم الله أحدًا من عباده[1].

تم بحمد الله تفسير سورة المطففين

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٣٨-١٤٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٣٧، ٣٣٨)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩١٦، ٩١٧)، وتفسير القرطبي (١٩/ ٢٥٥-٢٥٧).

سورة الانشقاق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ
كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ
أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ
كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا
﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ
﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ
عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾

يقول تعالى مُبينًا لما يكون في يوم القيامة من تغيير العالم ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ أي: تصدعت، ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ سمعت لربها، وأطاعت أمره، ﴿وَحُقَّتْ﴾ وحق لها أن تطيع أمر ربها العظيم العزيز الجبار الذي قهر كل شيء، وذل له كل شيء، ﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ بُسطت ووُسِّعت، ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ وألقت ما في بطنها من الأموات ﴿وَتَخَلَّتْ﴾ عنهم فلم يبق فيها شيء ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ أطاعت أمر ربها فيما أمرها به[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝١٠ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝١١ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝١٣ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝١٤ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝١٥﴾

يا أيها الإنسان، إنك ساع إلى ربك سعيًا، وعامل عملًا، إما خيرًا وإما شرًّا، ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾ أي: تلقى ربك بعملك ليجازيك عليه، فالعاقل لا يجعل كدحه إلا فيما يُرضي الله، ما دام كادح لا محالة، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ وهم المؤمنون أهل السعادة الأبدية الذين يأخذون الكتاب الذي

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٣٤٠)، وتفسير الطبري (٣٠/ ١٤١-١٤٣)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩١٧)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٥٨، ٢٥٩)، وأضواء البيان (٨/ ٤٦٦-٤٦٨).

فيه أعمالهم باليمين، ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ حسابًا سهلًا، تعرض أعمال المرء على الله فيقرره بذنوبه حتى يظن أنه قد هلك، ولكن أرحم الراحمين يتجاوز عن سيئاته ويستره، ولا يفضحه أمام الخلق، كما ستره ولم يفضحه في الدنيا ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ ويرجع إلى أهله في الجنة سعيدًا؛ لأنه نجا من العذاب، وفاز برضا الله والجنة، ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ وأما من أُعطي كتابه بشماله من وراء ظهره، ﴿فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورًا﴾ يدعو على نفسه بالهلاك لتيقنه أنه سيعذب عذابًا أليمًا، ﴿وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا﴾ ويدخل نار جهنم حتى يصلى أي: ينضج جلده من شدة حرها، وسبب ذلك ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾ كان في أهله فرحًا بما هو عليه من الكفر والعصيان ، ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ أي: أنه لن يرجع إلى ربه، وأنه لن يُبعث بعد موته، ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ أي: ليس كما ظن أنه لن يحور ويرجع إلى ربه، فإن ربه كان بحاله عليمًا خبيرًا [(١)].

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩﴾

يقسم ربنا تبارك وتعالى بآيات الليل، فأقسم بالشفق وهو: الحُمرة التي تكون في الأفق بعد غروب الشمس، ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ وما جمع فيه من الحيوانات وغيرها، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ حالًا بعد حال، من نطفة إلى العلقة، إلى مضغة، إلى النفخ في الروح، ثم يكون جنينًا ثم طفلًا، ثم يصير

(١) انظر: المصدر السابق.

عاقلًا مميزًا مكلفًا بتكاليف الشرع، ثم يموت بعد ذلك ثم يبعث ويجازى بأعماله، فهذه الطبقات والأحوال المختلفة الجارية على العبد، دالة على أن الله وحده هو المعبود، والمدبر أمر عباده بحكمته وقدرته ورحمته، وأن العبد عاجز فقير، لا غنى له عن تدبير الحي القيوم الأحد الصمد، العزيز الرحيم الحكيم [١].

﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾﴾

يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين لا يصدقون بتوحيد الله، ولا يقرون بالبعث بعد الموت، فأي شيء يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر؟! بعد ما وضحت لهم الآيات، وظهرت لهم الأدلة على توحيد الله ﷻ؟! والاستفهام إنكارًا على من لم يؤمن بعد ظهور هذه الآيات، ﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ۩﴾ لا يسجدون لربهم، ولا يخضعون للقرآن، ولا ينقادون لأوامره ونواهيه، ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ﴾ يعاندون ويعرضون عن الحق، بعد ما تبين لهم، فإن من صفاتهم التكذيب والعناد، والمخالفة للحق، ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ بما يكتمون في صدورهم، فالله تعالى يعلم ما يسرون ويخفون، وما يعلنون، وسيحاسبهم ويجازيهم بأعمالهم ولذلك قال: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فبشر يا محمد هؤلاء المكذبين بعذاب موجع في نار جهنم ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾ فالذين هداهم الله، وآمنوا بالله ورسوله، لهم عند ربهم أجر وثواب على أعمالهم الصالحة في الدنيا -والتي هي بتوفيق الله ورحمته- غير مقطوع، بل هم في نعيم دائم، وسعادة لا تزول، فلله المنة والفضل والثناء الحسن[1].

آخر تفسير سورة «الانشقاق»

ولله الحمد والمنة

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٥٧، ١٥٨)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٦٩-٢٧١)، وتفسير السعدي (ص ٩١٧، ٩١٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٢٤٨، ٢٤٩)، وأضواء البيان (٨/ ٤٧٤، ٤٧٥).

سورة البروج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾
قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ
عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ
ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ
عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾
إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾
ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾
فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ
﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾

أقسم الله سبحانه وتعالى بالسماء المشتملة على منازل الشمس، والقمر، والكواكب المنتظمة في سيرها -فالبروج هي منازل الشمس والقمر- وقيل: البروج، أي: النجوم، فهذا النظام البديع دالٌّ على قدرة الله وعظمته، وسعة علمه وتدبيره، ولذلك أقسم به، ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ يقسم بيوم القيامة، الذي وعد الله الخلق أن يجمعهم فيه، من أولهم لآخرهم ليحاسبهم، والله لا يخلف وعده، ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ أقسم الله تعالى بالشاهد والمشهود، وهو يشمل كل من اتصف بهذا الوصف من الحاضر والمحضور، والرائي والمرئي، والمُبْصِر والمُبْصَر، فالله جل جلاله أقسم بالعالم العلوي وهي السماء وما فيها من بروج، والتي هي أعظم الأمكنة وأوسعها، ثم أقسم بأعظم الأيام وأجلها قدرًا لما فيه من إظهار ملكه، وأمره ونهيه، وعقابه وثوابه، ومجمع أوليائه وأعدائه، والحُكم بينهم بعلمه وعدله، ثم أقسم بما هو أعمُّ من ذلك كله، وهو الشاهد والمشهود، ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ لُعن أصحاب الأخدود، ثم فسر الأخدود بقوله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ أي: هؤلاء الكفار شقوا الأرض، وحفروا الأخاديد، وأشعلوا فيها النار، وألقوا فيها الموحدين، ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ وهم حضور يشاهدون إحراق المؤمنين، وهذا أعظم ما يكون من التجبر وقسوة القلب، لأنهم جمعوا بين الكفر بآيات الله، وبين محاربة أهل الإيمان وتعذيبهم بهذا

العذاب العظيم، ولم يكتفوا بذلك؛ بل ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾[1].

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾

وما عاب هؤلاء الكفار على المؤمنين شيئًا، إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الذي له العزة كلها، والتي قهر بها كل شيء، فلا يغلبه أحد، وهو الحميد المحمود في أقواله وأوصافه، وأفعاله، فلله الكمال كله، وله الحمد كله، والإتيان هنا بصفتي: العزيز الحميد، إشعار بأنه سبحانه وتعالى قادر على نصر المؤمنين، والانتقام من الكافرين، ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ﴾ فهو مالك كل ما في السموات والأرض وما بينهما، متصرف في ملكه بعلمه وحكمته ورحمته، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مطلع على كل شيء، لا يخفى عليه شيء من أمر عباده، لا أقوالهم، ولا أعمالهم، ولا نواياهم، فهو - تعالى ذكره- السميع البصير العليم، الحكيم الخبير، ثم أوعد الكافرين، وعرض عليهم التوبة، وهذا من كمال رحمته، قتلوا أولياءه، وأهل طاعته، ثم يدعوهم إلى التوبة، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾

---

(١) انظر: تفسير الإمام الطبري (٣٠/ ١٥٩-١٧١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٦٠-٣٦٤)، وتفسير السعدي (ص ٩١٨)، وبدائع التفسير (٥/ ١٦٩-١٧١)، وأضواء البيان (٨/ ٤٨٥).

أي: حرقوا المؤمنين بالنار؛ ليرجعوا عن إيمانهم، هؤلاء إن لم يتوبوا ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ جزاؤهم العذاب الشديد المحرق، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إن الذين أقروا بتوحيد الله، وعملوا بطاعته، ﴿لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ لهم في الآخرة عند الله جنات تجري من تحتها الأنهار، أنهار من لبن، وأنهار من عسل، وأنهار من خمر، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ هذا الجزاء الذي أعده الله لعباده المؤمنين هو الفوز العظيم، بخلاف ما أعده لأعدائه من الحريق والجحيم(١).

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾﴾

يُخبر ربنا -تبارك وتعالى- أن أخذه وانتقامه من أهل الذنوب العظام، الظالمين الذين خالفوا أمره ﴿لَشَدِيدٌ﴾ أي: عظيم قوي، فإن الله -جلَّ وعلا- ذو القوة المتين، ما شاء كان كما يشاء، في مثل لمح البصر، أو أقرب، ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ فمن قوته وقدرته التامة الكاملة، يُبدئ الخلق ثم يعيدُهُ بعد الموت، كما بدأه أول مرة، بلا ممانع، ولا مدافع، ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ الذي يغفر الذنوب جميعها لمن تاب وعمل بطاعته، وانكف عن معصيته ﴿ٱلْوَدُودُ﴾ الحبيب، المحب لأوليائه، يحبهم ويحبونه، وقال شعيب ﷺ: ﴿إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾ [هود].

وما ألطف اقتران اسم «الودود» بالرحيم، وبالغفور، فإن الرجل قد يغفر لمن أساء إليه ولا يحبه، وكذلك قد يرحم من لا يحب، والرب تعالى يغفر لعبده -إذا تاب إليه- ويرحمه ويحبه مع ذلك، فإنه يحب التوابين،

(١) انظر: المصدر السابق، وانظر: أضواء البيان (٨/ ٤٨٦).

وإذا تاب إليه العبد أحبه، ولو كان منه ما كان[١].

﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾﴾

أي: صاحب العرش العظيم، الذي من عظمته أنه وسع السموات والأرض والكرسي، وخص العرش بالذكر لسعته ولعظمته وجماله وبهاء منظره، ولا يقدر قدر عظمته وحسنه وبهائه وسعته إلا الله؛ ولأنه أخص المخلوقات بالقرب منه تبارك وتعالى، والعرش فوق السموات السبع، والله ﷻ مستو عليه استواء يليق بجلاله وكماله وعظيم سلطانه، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

﴿ٱلْمَجِيدُ﴾ صفة لعرشه جلَّ وعلا، وإذا كان عرشه مجيدًا فهو سبحانه أحق بالمجد، ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ فعال لما يريده من العفو عن ذنوب من يشاء من عباده، ومعاقبة من يشاء، لا مكره له جل جلاله، وكل ذلك بمشيئته وقدرته، ومقتضى حكمته، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ﴾ هل جاءك -يا أيها الرسول- خبر الجنود، وما أنزل الله عليهم من العذاب والنقم، ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾ الذين كذبوا المرسلين، فجعلهم الله من المهلكين[٢].

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾

لا يزال الذين كفروا في شك وريب، وتكذيب، وعناد واستكبار،

(١) انظر: المصدر السابق، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٦٤، ٣٦٥).

(٢) انظر: المصدر السابق.

لا تنفعهم الآيات الدالات على صدق القرآن، ولا تؤثر فيهم الموعظة ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ﴾ أحاط بهم علمًا وقدرةً، فهو سبحانه عالم بأحوالهم، قادر عليهم ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ بل هذا الذي كذبوا به قرآن كريم، كثير الخير والعلم، عظيم المعاني، شفاء لما في الصدور، ﴿فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ مكتوب في لوح في الملأ الأعلى، محفوظ من الزيادة والنقص، والتحريف والتبديل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩][(١)].

تم بحمد الله تفسير سورة «البروج»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٣٦٥، ٣٦٦)، وجامع البيان (٣٠/ ١٧٥-١٧٦)، والجامع لأحكام القرآن (١٩/ ٢٨٤، ٢٨٥).

سورة الطارق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا
عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ
مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ
مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ
فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ
ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾

أقسم ربنا بالطارق الذي يطرق ليلًا من النجوم ويخفى نهارًا، وكل ما جاء ليلًا فقد طرق، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾ تفخيمًا لشأن هذا النجم الذي أقسم به الله ﷻ، والمعنى: وما أعلمك -أيها الرسول- بشأن هذا النجم الذي أقسم به الله، ما هو الطارق؟ فقال: ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ أي: المضيء، الذي يثقب نوره ظلمة الليل وينفذ فيه، حتى يُرى في الأرض فيهتدي به، وهو اسم جنس يشمل سائر النجوم، ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ ما من نفس إلا وكَّل اللهُ بها ملكًا يحفظ عليها أعمالها الصالحة، والسيئة، وستجازى بعملها المحفوظ عليها[1].

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ۝٨ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ۝١٠﴾

فليتأمل الإنسان مم خلقه الله، لتتضح له قدرة الله، وعجزه وضعف أصله الذي خُلق منه، لذلك قال تعالى: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾ وهو المنيُّ يخرج دفقًا سريعًا من الرجل والمرأة، فيتولد منهما الولد -بإذن الله ﷻ- ولهذا قال: ﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ يعني: صلب الرجل، وترائب المرأة، وهو صدرها ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ فالله سبحانه قادر على رجعه يوم القيامة، كما هو قادر على خلقه من ماء دافق، ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ يوم تُختبر سرائر

(١) انظر: تفسير الإمام الطبري (٣٠/ ١٧٧-١٧٩)، وتفسير السعدي (ص ٩٢٠)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٥-٧)، ومحاسن التأويل (٧/ ٢٢٩، ٣٠٠).

الصدور، فيُكشف عما كان في القلوب من خير أو شر.

ففي الدنيا يستطيع الإنسان أن يخفي ما يريد، ولا يظهره للناس، أما في الآخرة فيعجز عن إخفاء أي شيء عن الله العليم، فيظهر من كان في الدنيا صالحًا، ومن كان فيها فاسدًا، ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ فما الإنسان في هذا اليوم من قوة يدفع بها عن نفسه عذاب الله، ولا ناصر ينصره مما نزل به من عقاب، فهذا القسم على حالة العباد وقت عملهم، وعند جزائهم يوم القيامة[1]، ثم أقسم قسمًا ثانيًا على صحة القرآن، فقال:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾

والسماء ذات المطر، وسمى المطر رجعًا؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر، ﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ﴾ والأرض ذات النبات، وفسر الصدع بالنبات؛ لأنه يصدع الأرض، أي: يشقها، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾ يقسم جلَّ ثناؤه على أن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل، والصدق والكذب، ويفصل بين الناس فيما اختلفوا فيه، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾ فالقرآن حقٌّ وجدٌّ، وما هو باللعب، ولا بالباطل، ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ إن المكذبين بالقرآن يمكرون، ويخادعون لرده، ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ والله يكيدهم، كما يكيدون للإسلام والمسلمين، يريدون بذلك أن يطفئوا نور الله بأفواههم، وكيد الله لهم إظهار الحق ولو كره الكافرون، ودفع ما جاءوا به من الباطل، فيعلم الإنسان أنه أضعف وأحقر

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٨٤)، وبدائع التفسير (٥/ ١٨٣)، وأضواء البيان (٨/ ٤٩٣)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٠٠).

من أن يُغالب الله القوي العزيز، العليم بما في صدور العباد من الكيد، ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾ أنظرهم قليلًا، ولا تستعجل لهم، وسيعلمون عاقبة أمرهم حين ينزل بهم العقاب[١].

تم بحمد الله تفسير سورة «الطارق»

(١) انظر المصدر السابق.

سورة الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾
وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾
إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن
نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى
يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾
وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ
وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ
﴿١٩﴾﴾

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾

أي: عظم ربك الأعلى، فلا رب سواه وهو العلي العظيم ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾ والتسوية: التقويم والتعديل، وقد خلق الله كل مخلوق مستوٍ على أحسن ما يناسب خلقته وما خُلق له، فخلق السموات فسواها فكانت أقوى بناء، متماسكة أشد تماسك، لا ترى فيه من تشقق ولا خلل، وزينها بالنجوم، وخلق الأرض وأخرج منها الماء والنبات، وخلق الجبال وجعلها رواسي تثبت الأرض حتى لا تميل بنا، وخلق في بطنها أنواعًا من الكنوز، وخلق الأشجار ونوَّع ثمارها، وخلق جذوعها من خشب يُنتفع به كوقود للنار، ويصنع منه الأثاث، وغير ذلك.

وهذه الحيوانات في خلقتها وتسويتها آية، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧].

أما الإنسان فقد خلقه في أحسن صورة، متناسب الأعضاء، منتصب القامة، لم يفقد مما يحتاج إليه -ظاهرًا أو باطنًا- شيئًا، كل ذلك مما يستوجب أن يكون حقًّا لله تعالى أن يسبح، حيث جمع بين الخلق والتسوية، لكمال قدرته وتنزيهه عن كل نقص وعيب، وإثبات كل كمال وجمال له سبحانه وتعالى[1].

---

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٠١)، وتفسير الإمام الطبري (٣٠/ ١٨٩)، وتفسير الإمام القرطبي (٢٠/ ١٧).

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣ وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝٥﴾

هذه الآية ومثيلاتها من أعظم آيات القدرة، وقد ذكرها نبي الله موسى عليه السلام لما سأل فرعون عن ربه، ليعرفه تعريفًا تامًّا من هو الله، فأجاب موسى بجواب شاف كاف واضح، فقال: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ۝٥٠﴾ [طه]. فالله خلق جميع المخلوقات، وأعطى كل مخلوق خلقه اللائق به، الدال على حُسن صنعه من خَلَقه، ثم هدى كل مخلوق إلى ما خلق له، وهذه الهداية عامة لجميع الخلق، فتجد كل مخلوق يسعى لتحصيل المنافع لنفسه، ودفع المضار عنها، حتى أن الله تعالى أعطى الحيوان البهيم من العقل ما يتمكن به من جلب النفع لنفسه، ودفع الضر عنها[1]، وهذه الهداية تتضمن نعم دنيوية، ولهذا قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ﴾ أي: أنزل من السماء ماء، فأنبت به أنواع النبات والزروع، والعشب، فترعى الناس والبهائم وكل حيوان، فالنبات والزروع من أسباب بقاء الإنسان والحيوان، وهذه نعمة من أعظم النعم، ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ وهو ما جف من النبات ويبس فطارت به الريح، والحُوَّة، هي: السواد من بعد البياض أو الخضرة، فيسود النبات بعد أن كان أخضر من شدة الجفاف واليبس[2].

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن (ص ٥٠٧٠)، تفسير سورة طه، بتصرف.

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ١٩١)، وأضواء البيان (٨/ ٥٠٢)، وبدائع التفسير (٥/ ١٩٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢١).

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝١٢ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۝١٣﴾

كما أن هذه الهداية فيها من نعيم الدنيا، ففيها أيضًا من نعيم الدين، لهذا قال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ سنقرئك -أيها الرسول- القرآن ونجمعه في صدرك ولن تنساه، وهذه بشارة كبيرة من الله لعبده ورسوله محمد ﷺ أن الله سيعلمه علمًا لا ينساه، ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ إلا ما اقتضت حكمته أن ينسيكه لمصلحة بالغة يعلمها الله، ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ يعلم ما يجهر به عباده، وما يخفونه من أقوال وأفعال، لا يخفى عليه من ذلك شيء، ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ﴾ وهذه أيضًا بشارة من الله لرسوله ﷺ أن الله يسهل عليه جميع أموره، ويُشرع له شرعًا سهلًا سمحًا مستقيمًا عدلًا، لا اعوجاج فيه، ولا حرج ولا عُسر، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ فذكر بشرع الله وآياته من يستجيب لك، ويقبل ما نقول من المواعظ، فإن كان التذكير يزيد في الشر، والإعراض، والنفور، لم تكن الذكرى مأمورًا بها، بل منهيًّا عنها، فالناس ينقسمون إلى قسمين: قسمٌ غير منتفعين بالذكرى، وقسم منتفعون بها، وهذا التقسيم جاء في قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ﴾ فإن خشية الله، والخوف منه، والعلم بما عنده من ثواب وعقاب، توجب للعبد الابتعاد عن المعاصي، والسعي في فعل الطاعات، وأما غير المتنفعين بالذكر، هؤلاء ذكرهم الله بقوله: ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝١١ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ ويبتعد عن الموعظة والتذكير بالله، وينفر منها الفاجر والكافر؛ لأنه أشد الناس شقاء في الآخرة لدخوله النار، ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ ثم يُخلَّد في النار، بحيث لا

يموت فيستريح من العذاب، ولا يحيا حياة طيبة كريمة [١].

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

قد نجح وفلح من فاز بالمطلوب: من تطهر من الكفر والمعاصي، وعمل بما أمره الله به، فأدى الفرائض، وتجنب النواهي، ﴿وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ اتصف بأنه دائم الذكر لله، والعمل بما يرضي الله، وخصوصًا الصلاة، التي هي ميزان الإيمان، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ لكنكم تقدمون الدنيا على الآخرة، وتفضلون نعيمها ولذاتها العاجلة، على نعيم الآخرة، ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ والآخرة خير من الدنيا وما فيها من متع منغصة ومكدرة وزائلة، فالجنة دار البقاء والصفاء، والسعادة الدائمة، والنعيم المقيم، فحري بالعاقل أن يقدم الباقي على الفاني، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ إن هذا الذي ذُكر في هذه السورة من معاني التوحيد والذكر والعبادات لفي الصحف الأولى، وهي صحف إبراهيم وموسى -عليهما السلام-، فهذه الأوامر في كل شريعة، لكونها عائدة إلى مصالح الدنيا والآخرة، وهي مصالح كل زمان ومكان [٢].

آخر تفسير سورة «الأعلى»

ولله الحمد والمنة

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٣٧٧-٣٧٩)، وتفسير السعدي (ص ٩٢١)، وجامع البيان (٣٠/ ١٩٢-١٩٤).

(٢) انظر المصدر السابق.

سورة الغاشية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ
إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾
لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ
جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ
﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾
وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى
ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ
عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾

يذكر الله -تبارك اسمه- أحوال يوم القيامة، وما فيها من الأهوال العظام، فقال: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ﴾ هل أتاك -أيها الرسول- حديث يوم القيامة، الذي يغشى الخلق بأهواله، وأصل كلمة الغاشية: أي الداهية، والسؤال والاستفهام في الآية للفت النظر، وشدة التعجب، والتنويه في الحديث عن يوم القيامة، ثم وصف أحوال أهل الشقاء، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾ من الذل والخزي، والفضيحة أمام الخلق، ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ﴾ عاملة في الدنيا بالمعاصي، تاعبة في الآخرة من شدة العذاب، ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ شديد حرها، ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ﴾ الآني: الذي قد انتهى حره، من الإيناء بمعنى التأخير، والمعنى: تسقى من عين شديدة الحرارة، ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ الضريع: نبت ذو شوك لاصق بالأرض، يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس، وهو سم، فهو شر الطعام وأبشعه، ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ لا يحصل به المقصود من الطعام، فإن المقصود من الطعام إما أن يشبع صاحبه ويزيل ألم الجوع، وإما أن يُسمن بدنه من الهزال، وهذا الطعام ليس فيه شيء من هذين، بل هو طعام غاية في المرارة والنتن[1].

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٠٨-٥١٤)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٨٣-٣٨٥)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٣١-٣٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٢).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾

لما ذكر ربنا سبحانه وتعالى حال الأشقياء، ذكر حال السعداء، قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾ فأهل الإيمان تجد وجوههم يوم القيامة ناعمة، قد ظهر عليها النعيم، ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾ لعملها الصالح الذي عملته في الدنيا راضية، إذ وجدت أجر ذلك العمل مدخرًا عند ربها، وقد ضاعف لها الثواب، فحصل لها كل ما تتمناه وزيادة، فهي راضية بذلك، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ المكان لأنها فوق سبع سماوات، وعالية المكانة والقدر؛ لأن فيها ما تشتهيه الأنفس، وتلذ الأعين، ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ لا تسمع في الجنة كلامًا باطلًا ولا شتمًا ولا لغوًا وهو ما لا فائدة فيه، وهذا إكرام لهم حتى في الكلمة التي يسمعونها لا تكون إلا من الكلام الحسن الطيب ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ عيون كثيرة تجري مياهها، ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾ والسرر: جمع سرير، وهي المجالس المرتفعة، وعالية بما عليها من الفرش اللينة، ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾ ممتلئة من أنواع الأشربة اللذيذة، أُعدت لهم ووضعت بين أيديهم تحت طلبهم، ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ وسائد مرصوصة كل واحدة جانب الأخرى، أينما أراد أن يجلس جلس على وسادة، واستند إلى أخرى، ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾ وبسط مفروشة هنا وهناك أعدت لراحته [١].

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾

فيقول الله تعالى للمكذبين الذين لا يصدقون الرسول ﷺ، ولغيرهم من الناس الذين استهانوا بالمعاصي، ونسوا يوم الحساب، وباتت قلوبهم مشغولة بالأدنى، لا يشتاقون إلى الجنة، ولا أعظم ما في الجنة، وهي رؤية وجه الله رب العالمين، يقول سبحانه وتعالى -حثًّا لهم على التفكير في مخلوقاته الدالة على قدرته وعزته وعظمته، وكماله وجلاله-: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أفلا ينظرون نظرة تأمل وتفكر إلى الإبل وخلقها البديع، وكيف سخرها الله لعباده، لتحصيل منافع كثيرة لهم، ومع كبر حجمها قد ذللها للصغير من خلقه يقودها وينخيها وينهض بها، ويحمل على ظهرها ما يشاء، هذا من عظيم قدرته جل جلاله، وذكر الإبل على وجه الخصوص دون غيرها من الحيوانات؛ لأنها كثيرة في العرب معروفة عندهم، ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي: كيف رفعها الله عن الأرض هذا الرفع العظيم، بلا أعمدة نراها، ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ كيف نصبت نصبًا راسخًا، فلا تميل بمن عليها من الخلق، فسبب ثبات الأرض وجود الجبال الرواسي عليها، ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ مدت مدًّا واسعًا، ومهدت كذلك، وسهلت غاية التسهيل؛ ليستقر الخلق على ظهرها[1].

(١) انظر: نفس المصدر.

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾

فذكر -يا رسول الله- الناس بما أُرسلت به إليهم، ذكرهم بأدلة العقل والنقل فإنما عليك البلاغ، وعلينا حسابهم، ولهذا قال: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ لست عليهم مسلطًا جبارًا، حتى تكرههم على الإيمان، بل أنت عبد الله ورسوله، فمن أطاعك فله الجنة، ومن عصاك فله النار، ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾ ولكن من تولى عن طاعة الله وأعرض وكفر بالله، ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ أي: العذاب الشديد الأليم الدائم، ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ أي: رجوع الخلق وجمعهم وبعثهم يوم القيامة، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ فنحاسبهم على ما عملوا من خير أو شر، فإن إلى الله الإياب، وعليه الحساب [(١)].

آخر تفسير سورة «الغاشية»

ولله الحمد والفضل والمنة

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٠٧-٢٠٩)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٨٩، ٣٩٠)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٠١).

سورة الفجر

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلۡفَجۡرِ (١) وَلَيَالٍ عَشۡرٖ (٢) وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ (٣) وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ (٤)
هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ (٥) أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ
ٱلۡعِمَادِ (٧) ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ (٨) وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ
ٱلصَّخۡرَ بِٱلۡوَادِ (٩) وَفِرۡعَوۡنَ ذِي ٱلۡأَوۡتَادِ (١٠) ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ (١١)
فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ
رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ (١٤) فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ
فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ (١٥) وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ
أَهَٰنَنِ (١٦) كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلۡمِسۡكِينِ (١٨) وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا (١٩) وَتُحِبُّونَ
ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا (٢٠) كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا (٢١) وَجَآءَ رَبُّكَ
وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا (٢٢) وَجِاْيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ
ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوۡمَئِذٖ
لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ (٢٦) يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ
ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ (٢٧) ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ (٢٨) فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي (٢٩)
وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي (٣٠)﴾

﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشۡرٖ ۝٢ وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ۝٥﴾

الفجر معروف، وهو الصبح، وأكثر العلماء: أن المقصود هنا بالفجر فجر يوم عرفة؛ لأن الله قرن الأيام به، فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشۡرٖ﴾ هي عشر من ذي الحجة[١]، وهذه الأيام لها فضل عظيم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، قال: «**مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ**» -يعني عشر ذي الحجة- قالوا: ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ**»[٢]، وفي هذه العشر الوقوف بعرفة، اليوم الذي يغفر الله لعباده الذين جاءوا لأداء فريضة الحج، يوم يُخزى فيه الشيطان، وفي هذه الأيام أعمال الحج: من الطواف، والنحر، والمبيت بمنى، ورمي الجمار، وغير ذلك من أعمال تدل على الاستسلام لله تعالى، وتصديق رسول الله ﷺ الذي علم أمته مناسك الحج وأعماله، فهذه أشياء معظمة، تستحق أن يقسم الله بها، ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ﴾ أقسم الله بالشفع وهو: الزوج، والوتر وهو: الفرد، فالشفع والوتر نوعان للمخلوقات، والمأمورات، وقيل: الوتر الخالق سبحانه، والشفع المخلوق، وعلى هذا القول يكون قد جمع في القسم بين الخالق والمخلوق، ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ هل فيما أقسمت به من هذه الأمور ما هو مقنع لصاحب عقل راجح يمنعه من اتباع الهوى؟! ففي هذا القسم ما يكفي أن يقنع من عَقَلَ وفَهم عن ربه، ويصدق بما

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢١٢)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٦٩)، وأبو داود (٤٣٨) واللفظ له.

جاء به النبي ﷺ وهو الحق [١].

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ۝٨ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾

ألم تنظر -يا رسول الله- بعين قلبك وبصيرتك ما فعله الله بهذه الأمم الطاغية، وهي ﴿إِرَمَ﴾ اسم قبيلة من قبائل العرب، ﴿ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ ذات القوة الشديدة، والبطش بالعباد، والتجبر عليهم، فكان طولهم مثل العِماد، وهي الأبنية المرفوعة، وهذا يدل على ما كان بهم من قوة، ولذلك قال: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ لم يخلق مثل تلك القبيلة -في قوتها، وعظم أجسامهم- في البلاد، ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾ كانوا يقطعون الصخر بالوادي، وينحتون الحجارة ويخرقونها ليجعلوا منها بيوتًا لأنفسهم، فبنوا مدائن كاملة من الصخر، قال تعالى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ۝٨٢﴾ [الحجر]، ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ وفرعون صاحب الأوتاد، أي صاحب القوة؛ لأن فرعون كان له جنود وعساكر تشد ملكه وتقويه، وذلك بطاعته في كل ما يأمرهم به من بطش وقتل، ليحفظوا له ملكه، فكانوا له بمنزلة الوتد الذي تُربط

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢١٠-٢١٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٣٩١-٣٩٧)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٠٨).

بـه حبـال الخيمـة فتسـتقر وتثبـت علـى الأرض، ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾ وهـذا الوصف عائد على: عـاد، وثمـود، وفرعـون، فجميعهم كـانوا بغـاة طغـاة، آذوا عباد الله في دينهم ودنياهم، ولذلك قال تعـالى: ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ﴾ فـأكثروا من الكفـر، وجميـع أنـواع المعاصي، وسـعوا في محاربـة الأنبيـاء والمرسـلين، وصـدوا النـاس عـن طريـق الهدايـة، فلمـا بلغـوا مـن الظلـم والفسـاد مـا بلغـوا، عـاقبهم الله علـى كفـران الـنعم واسـتعمالها في معصـيته، والصـد عـن سـبيله، ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ فأنزل الله عليهم العذاب، وعاقبهم بأنواع من العقوبـات، ولـم يـرد بأسـه عـنهم؛ لأنهـم كـانوا مجـرمين ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ يرصـد عمـل كـل إنسـان، فسـبحانه يسـمع ويـرى، ولا تخفـى عليـه خافيـة، وسـيجازي كـلًّا بسـعيه في الـدنيا والآخـرة، وسـيعرض الخلائـق كلهـم عليـه، فيحكم فيهم بالعدل، وهو المنزه عن الظلم[1].

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾

يُنكـر الله -ﷻ- علـى الإنسـان في اعتقـاده، أن الله إذا وسَّـع عليـه الـرزق؛ ليختبره ظن أن ذلك إكرام من الله له، وإذا ابتلاه وامتحنه، وضيق عليه الرزق، ظن أن الله أهانه، ولم يكرمه، فقال تعـالى: ﴿كَلَّا﴾ كلمـة زجـر، وردع، وبيـان

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٣٩٧-٤٠٢)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢١٩-٢٢٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٣)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣١٨، ٣١٩).

أن الأمر ليس كما تعتقدون، فإن الله يُعطي المال لمن يحب، ومن لا يحب، ويضيق الرزق على من يحب، ومن لا يُحب، والدليل على ذلك أنه أعطى كثيرًا من الكفار من صنوف النعم، وهو لا يحبهم، وكم من عاص قد وُسع عليه رزقه والله يبغضه، فالعطاء والمنع لا لإكرام، ولا لإهانة، ولكنه ابتلاء وامتحان، هل يشكر الغنى نعم الله بأن يستعملها فيما يرضيه، فيزيده الله من فضله، أم يكفر النعم باستعمالها في معاصي الله، فيسلبها منه.

فميزان إكرام الله للعباد لا العطاء، ولا المنع، إنما هو الطاعة في جميع الأحوال والأوقات(١).

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾﴾

بعد ما بيَّن سبحانه صحة المفاهيم في العطاء والمنع، جاء في هذه الآيات بيان حقيقة فتنة المال، فبدأ بأقبح وجوه الإمساك وهو عدم إكرام اليتيم، مكسور الخاطر، لموت أبيه، ولأنه لا يجد من يكفله، ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ولا يحث بعضكم بعضًا على إطعام المساكين والفقراء، والإحسان إليهم، ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ وتأكلون الميراث أكلًا شديدًا، لا تتركون منه شيئًا، فيأخذ ميراثه، وميراث غيره، وكانوا في الجاهلية لا يعطون النساء ميراثهم، ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ وتحبون المال حبًّا شديدًا، حتى عبدتموه، وألهاكم عن ذكر الله،

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٢٥٦)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٢٧-٢٣١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٠٣، ٤٠٤).

والدار الآخرة[١].

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾﴾

ليس كل ما أحببتم من لذات الدنيا، من مالٍ وغيره باق وهو رد على انكبابهم على الدنيا، وجمعهم لها، بل هناك يوم عظيم، يوم تتحرك الأرض تحريكًا شديدًا، فتستوي وتُهدم قصورها وجبالها وأبنيتها، وسائر ما عليها، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ وفي هذا اليوم يجيء الرب -تبارك وتعالى- للفصل والقضاء بين العباد -مجيئًا يليق بجلاله وكماله بغير تشبيه مجيء الرب بمجيء المخلوق، فكيفية صفاته لا يعلمها إلا هو سبحانه- وتجيء الملائكة بين يديه صفوفًا، ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ﴾ تقودها الملائكة بالسلاسل، فإذا وقعت هذه الأمور العظام ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ تفريطه في الدنيا في طاعة الله، فيندم ندمًا شديدًا على ما ارتكب من معاص، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ ومن أين له الاتعاظ، وقد فات وقته في الدنيا، فالندم والاتعاظ في الآخرة لا ينفع صاحبه، فيقول متحسرًا ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾ الدائمة الباقية عملًا صالحًا لنجاتي من النار، فالدار الآخرة هي الحياة الحقيقية التي ينبغي أن يعمل لها الإنسان، ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أي: ليس أحد أشد عذابًا من تعذيب الله تعالى لمن نسي العمل لهذا اليوم، ﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ والوثاق: الربط، فلا أحد يوثق مثل وثاق أهل النار، فإن الله

(١) انظر: المصدر السابق.

يجعل في رقابهم سلاسل يسحبون بها على وجوههم في الجحيم -نعوذ بالله من الخزي، وعذاب النار- قال تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ﴾[غافر: ٧١، ٧٢][(١)].

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

أي: الآمنة التي اطمأنت إلى وعد الله الذي وعد أهل الإيمان به، فكانت في الدنيا مطمئنة بذكره، وبطاعته وخشيته، ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ الذي رباك ورعاك حتى صرت من عباده المؤمنين، ومن أوليائه الصالحين، ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ راضية عن الله وعن ما قدره لك، وما أكرمك به من التوفيق لطاعته، والله قد رضي عنك ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ وهذا خطاب للروح عند الموت، ويوم القيامة.

اللهم اجعلنا ممن يؤمن بلقائك، ويرضى بقضائك، ويسعى لإرضائك[(٢)].

تم بحمد الله تفسير سورة «الفجر»

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٢٣١-٢٣٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٠٤-٤٠٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٤).

(٢) انظر: المصدر السابق.

سورة البلد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾
لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ
أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ
﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ
﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ
﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾
وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ۝٥ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾

يقسم الله ﷻ ﴿بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾ وهي مكة المكرمة، والتي هي أشرف بقاع الأرض، إذ فيها بيت الله الحرام، فهي أفضل البلدان على الإطلاق، خصوصًا وقت حلول الرسول ﷺ، فحلوله بمكة له شأن عظيم، ومنه أن الله رفع عنهم العذاب لوجوده فيهم ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡ﴾ [الأنفال: ٣٣].

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ أي: آدم وذريته، فأقسم بمكة، وهي أم القرى، وأقسم بآدم وهو أبو البشر، وكأنه سبحانه أقسم بأصول الموجودات وفروعها - البلاد والبشر - ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ الكبد: الشدة، وقد خلق الله الإنسان في شدة يكابد أمر الدنيا، وأمر الآخرة، فكلًّا من الدنيا والآخرة يحتاج إلى جهد لتحصيله، واللبيب السعيد من جعل جُل جهده للآخرة الباقية، ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ﴾ ينكر الله جلَّ ثناؤه على الإنسان حسبانه أن لن يقدر عليه من خلقه في هذا الكبد والشدة، فالذي خلقه كذلك قادر عليه، ﴿يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾ تلبد الشيء: إذا اجتمع، والمراد أنه أنفق مالًا كثيرًا، فافتخر هذا الإنسان بإهلاك المال وإنفاقه في غير وجهه، فأنكر سبحانه افتخاره، وتبجحه بإنفاق المال في شهواته المحرمة التي فيها هلاكه، وتخويفه بقوله: ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ أيظن أن لم يره الله ﷻ حين

أنفق ماله على ما فيه هلاكه [١].

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾

ألم ننعم عليه بعينين يُبصر بهما، ﴿وَلِسَانًا﴾ يتكلم به، فيعبر عما في ضميره، وما بداخله ﴿وَشَفَتَيْنِ﴾ يستعين بهما على الكلام والطعام، وهما أيضًا من جمال الوجه، وهذه من أعظم النعم، فهب أنك لا ترى، لا تتكلم، فكيف تكون حياتك، فهذه النعم تستوجب الشكر، بأن يستعملها الإنسان فيما يرضى الله، ولا يستعملها في معصيته، ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ عرفناه طريق الخير، وطريق الشر، ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ أي: لم يقتحمها ولم يعبر عليها؛ لأنه متبع لشهواته، وقيل العقبة: مكان شاق يقتحمه الناس حتى يصلوا إلى الجنة، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ تعظيمًا لشأن العقبة، وتفخيمًا لأمرها[٢]، ثم أخبر عن سبب اقتحامها والنجاة منها، وذلك بأمور، قال:

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾

أي: فكها من الرق، بعتقها ومساعدتها بالمال على ذلك، وقد جاءت نصوص عديدة في القرآن والسنة تحث على تحرير الرقاب، ومنها هذه

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٢١٧، ٢١٨)، وأضواء البيان (٨/ ٥٢٩-٥٣١)، وتفسير السعدي (ص ٩٢٥)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٤٦-٢٤٩)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٢٤-٣٢٦).

(٢) انظر: المصدر السابق.

الآية، وكذا السعي في فكاك الأسير المسلم عند الكافر، وهذا من باب أولى.

﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ أو أن يُطعم في يوم مجاعة، يندر فيه وجود الطعام، فهو يُطعم وقت الحاجة أشد الناس احتياجًا للطعام، وهذا يدل على قوة الإيمان واليقين على الجزاء من الله على عمله، ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ يتيمًا فقد أباه وهو كذلك من أقاربه، وخص اليتيم الذي بينك وبينه صلة قرابة؛ لأن الصدقة على القريب تكون صدقة وصلة رحم، فالصدقة عليه أفضل وأولى من غيره، ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ مسكينًا فقيرًا قد لصق بالتراب من شدة الفقر والحاجة، مطروحًا على الطريق، ليس له مأوى إلا التراب[1].

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾﴾

ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة مؤمن بقلبه، وهذا قيد لاقتحام العقبة فغير المؤمن لا ينفعه عمله في الآخرة، فالإيمان شرط عند العمل، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩]، وغيرها من الآيات والأحاديث الكثيرة جدًّا، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ كان من المؤمنين العاملين صالحًا، المتواصين

---

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٣٢-٥٣٤)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ٦٦-٧١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤١٤-٤١٨)، وتفسير السعدي (ص ٩٩٥)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٢٠، ٢٢١).

بالصبر، والصبر أقسام: صبر على طاعة الله، أي: لا إعراض ولا تكاسل عن أداء الطاعات، وصبر عن معصيته، فلا يضعف أمام شهوات النفس، بل يمنعها من العصيان، وصبر على أقدار الله، وإن كانت مخالفة لنفسه وهواه، وصبر على أذى الناس وهو من أقدار الله التي قدرها على العبد، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ يوصى بعضهم بعضًا بالرحمة، كما في الحديث: «**لا يرحم الله، من لا يرحم الناس**»[(١)].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾ أما الكفار فهم أصحاب الشمال، يأخذون كتابهم بشمالهم، فيدخلون النار، ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ مغلقة، أطبقها الله عليهم، فلا ضوء فيها ولا خروج منها أبد الآباد[(٢)].

تم تفسير سورة «البلد» ولله الحمد

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠١٣)، ومسلم (٢٣١٩).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٤١٨، ٤١٩)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٥٩، ٢٦٠)، وأضواء البيان (٨/ ٥٣٤، ٥٣٥).

سورة الشمس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَىٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَىٰهَا ﴿١٥﴾﴾

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ۝٤﴾

أقسم الله تعالى في تلك الآيات على النفس المفلحة الزكية، والنفس الشقية الخبيثة، فقال: ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾، فالشمس وحدها آية دالة على قدرة خالقها، لما فيها من عجائب، وهي على مر الزمان، بدون انتقاص لحجمها، ولا تغيير لشكلها، ﴿وَضُحَىٰهَا﴾ وهو وقت ارتفاعها بعد طلوعها من شرقها، وانتشار ضوئها نهارًا، وبه سمي وقت الضحى، وهذا وحده آية، لأن ذلك نتيجة لحركتها، وحركتها آية من آيات الله، ففي هذا السير قدرة باهرة، ودقة متناهية، وقد قالوا: لو اقتربت درجة أو بعدت درجة لما استطاع أن ينتفع بها أحد؛ لأنها تحرق العالم باقترابها، ويتجمد العالم ببعدها، وذلك تقدير العزيز العليم القدير، ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾ أي: إذا تبعها، فإذا غربت الشمس تلاها القمر بالطلوع، فلا يسبقها بالطلوع، والقمر آية من آيات الله، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾ إذا كشف ما على وجه الأرض بضوئه فيتيسر السعي وطلب المعاش والرزق، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾ يغشى وجه الأرض -أي: يغطيه- فيكون ما عليها مظلمًا، فالليل راحة وسكون للخلق[1].

(١) انظر: أضواء البيان (٨/ ٥٣٦-٥٣٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٢٠، ٤٢١)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٧٤، ٧٥)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٦١-٢٦٣)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٢٩، ٣٣٠)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٦).

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾

أقسم -تعالى ذكره- بالسماء، وبانيها، الذي بناها، وهو القادر الذي أبدع خلقها، فهي غاية في الجمال والإتقان والإحكام ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ أي: مدها ووسَّعها، فتمكن الخلق من الانتفاع بها، واستقر عليها الإنسان والحيوان، ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ يقسم تعالى بالنفس البشرية، وهي آية عظيمة من آيات الله التي تستحق أن يقسم به، فإنها غاية في اللطف والخفة، سريعة الحركة والتنقل والتغيير والتأثير، والانفعالات النفسية من الهم والحزن والفرح، والحب والبغض، وهي التي لولاها لكان البدن مجرد تمثال لا فائدة فيه، وتسويتها على هذا الوجه آية من آيات الله، ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ أي: عرفها طريق الفجور والمعاصي والشر، وعرفها طريق التقوى والطاعة والخير، ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ قد فاز بكل خير، ونجا من كل شر، من طهر نفسه من العيوب والذنوب، وجعلها زكية بالإيمان والطاعة، ﴿وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ وقد خاب وخسر من أخفى نفسه الكريمة وخذلها بارتكاب الذنوب، وترك طاعة الله تعالى.

واعلم أن ما يتزكى به العبد من إيمان وطاعة، وترك معصية، فإنه بفضل من الله، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور: ٢١][1].

---

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾

ثمود اسم قبيلة، وهؤلاء كذبوا نبي الله صالحًا عليه السلام، وسبب ذلك طغيانهم، وما كانوا عليه من البغي والإثم، وإعراضهم عن الحق، ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾ إذ نهض أشقى رجل في القبيلة لعقر الناقة -أي: ضربها بالسيف- وهذه الناقة كانت آية من آيات الله؛ لأنها خرجت من صخرة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف]، وهي دليل على صدق نبوة صالح عليه السلام، ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ فقال لثمود رسول الله صالح عليه السلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ أي: احذروا ناقة الله -التي جعلها لكم آية- أن تمسوها بسوء ﴿وَسُقْيَٰهَا﴾ شرابها، وإنما حذرهم سقيا الناقة؛ لأنه كان جاءهم الأمر من الله، أن الناقة تشرب ماء البئر يومًا، وأنتم تشربون يومًا، كما قال تعالى: ﴿قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾﴾ [الشعراء]، ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ فكذبوه بما جاء به، وعقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم، والذي قتل الناقة واحد مع رضا قومه بفعله، فكانوا شركاء في الإثم، ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾ أي: أهلكهم، ودمر عليهم ربهم بذنبهم وكفرهم به، وتكذيبهم رسوله صالحًا عليه السلام، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾ فسوى بينهم في العقوبة، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾

أي: فعل الله ذلك بهم غير خائف أن تلحقه تبعة الدمدمة من أحد، وكيف يخاف الملك القاهر، التي خضعت لعظمته الرقاب، فلا يخرج من تصرفه وقهره مخلوق، الحكيم في شرعة وقضائه، الرحيم بعباده المؤمنين[١].

تم بحمد الله تفسير سورة «الشمس»

(١) انظر: نفس المصدر.

سورة الليل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ
سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ
لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا
لَلْأٓخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾
ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ
﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾
وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾

الليل آية من آيات الله، أقسم به في جميع أحواله، فأقسم به وقت غشيانه، أي: وقت تغطيته كل شيء بظلمته، وأقسم بالنهار ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ إذا انكشف ووضح وظهر وبان ضوؤه، ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾ والذي خلق الذكر والأنثى، أي: أنه قد أقسم بنفسه ﷻ، أو أنه أقسم بخلقه للذكر والأنثى، وكمال حكمته في ذلك، أن خلق من كل صنف من الحيوانات التي يريد بقاءها ذكرًا وأنثى، فتبارك الله أحسن الخالقين، ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ إن أعمالكم مختلفة، فمن العباد من يفعل الخير ومنهم من يفعل الشر[1].

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾

فأما من أعطى ما أُمر به من النفقات الواجبة عليه؛ كزكاة المال، والنفقات المستحبة؛ كالصدقات والإنفاق في وجوه الخير، وأيضًا العبادات البدنية، كالصلاة، والصيام، والحج، والعمرة، وغير ذلك فالعطاء يعم كل وجوه الخير، ﴿وَٱتَّقَىٰ﴾ ما نهى الله عنه من المحرمات والمعاصي، ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ بـ: لا إله إلا الله، التي تستلزم التصديق بجميع أصول الدين وفروعه، أي: التصديق بكل ما جاء في القرآن، والسنة، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾ أي: نسهل عليه أمره، ونجعله ميسرًا لكل خير، وميسرًا له ترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ٨٢، ٨٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٢٧، ٤٢٨)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٣٩، ٢٤٠)، وتفسير السعدي (ص ٩٢٧).

التيسير، وهي: العطاء -التقوى- التصديق بالحسنى، ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ﴾ بما أُمر به، فترك الإنفاق الواجب والمستحب، وترك فعل الخيرات وتَرْك المنكرات ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ عن الله، فترك عبادته، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ كذب بما أوجب الله عليه أن يصدق به، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ فنيسر عليه عمل الشر، ونُعسر عليه فعل الخير، فيجري الشر على لسانه وبدنه ﴿وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ وما يغني عنه ماله الذي بخل به إذا هلك، ودخل النار[1].

﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾

إن علينا أن نبين للعباد طريق الهدى، وطريق الضلال، ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْءَاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ﴾ الجميع مِلك لله -جل في علاه-، وهو المتصرف فيهما، لا شريك له، ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ تسعر وتتوهج وتتوقد، ﴿لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾ لا يدخلها دخولًا يحيط به من كل جانب إلا الشقي، ﴿ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ الذي كذب ما جاء به الرسول ﷺ، وأعرض عن الإيمان[2].

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾

وسيُزحزح عن النار التقي النقي، ثم فسره بقوله: ﴿ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾ الذي يصرف ماله في طاعة ربه، ليزكي نفسه وماله، وما وهبه الله من نعم الدنيا، ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ﴾ ليس لأحد من الخلق على هذا التقي

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) انظر: نفس المصدر.

نعمة أنعم بها عليه، فيعطيه المال مكافأة له، فما أعطى ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ لا يريد بما بذل وأنفق من مال إلا وجه ربه الأعلى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ غاية التأكيد من الله تعالى على ما وعده إياه الثواب الجزيل، والخير الكثير[1].

آخر تفسير سورة «الليل» ولله الحمد

(١) انظر: نفس المصدر.

سورة الضحى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ
خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمْ
يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا
فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا
بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾

أقسم الله -تبارك وتعالى- بالضحى وبالليل -وهما آيتان من آيات الله- على اعتنائه برسوله ﷺ قال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ والمراد وقت الضحى، ويكون عند ارتفاع الشمس وطلوعها من مشرقها، وانتشار ضوء النهار، وهذا بدء وقت الضحى، ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي: سكن بأهله، وثبت ظلامه، ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ما تركك ربك، ولا أهملك منذ اعتنى بك وأكرمك، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ ولا أبغضك منذ أن أحبك، ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾ أي: ما أعددت لك في الدار الآخرة -من الدرجة العالية الرفيعة التي لا يشاركك فيه أحد من العباد- خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا، فقد أعطاه الله في الدنيا من الفضائل والنعم، وسرور القلب، وانشراح الصدر ما لم يُعط الأولين والآخرين، فقد مكَّن له دينه، ونصره على أعدائه، فأعزه غاية الإعزاز، وغير ذلك من النعيم، ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ هذه عبارة شاملة جامعة لعطاء الله لنبيه ﷺ كل أنواع العطايا التي ترضيه، وأما ما يغتر به الجُهال من أنه لا يرضى ﷺ وواحد من أمته في النار، أو لا يرضى أن يدخل أحد من أمته النار، فهذا من غرور الشيطان لهم ولعبه بهم، فإنه ﷺ يرضى بما يرضى به ربه، وهو سبحانه يدخل النار من يستحقها من الكفار والعصاة، ثم يخرج المسلمين بشفاعة الرسول ﷺ والمؤمنين وبرحمة أرحم الراحمين الملك الحق[1].

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦)، وجامع البيان (٣٠/ ٢٨٨-٢٩٢)،
=

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾

ثم عدد سبحانه نعمه على عبده ورسوله محمد ﷺ، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ وذلك أن أباه توفي وهو في بطن أمه، ثم ماتت أمه، فنشأ يتيمًا، فكان في حاجة إلى من يؤويه ويغنيه ويتكفل به، فآواه ربه، فكان في كفالة جدة عبد المطلب ثم عمه أبي طالب، ثم لم يزل سبحانه ينصره ويرفع قدره، ويكف عنه أذى قومه، حتى أيده الله بنصره وبالمؤمنين، ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ أي: وجدك لا تدري ما القرآن ولا تفصيل الشريعة، فعلمك ما لم تكن تعلم من شرع الله، ووفقك لأحسن الأعمال والأخلاق، ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ وكنت فقيرًا فأغناك الله، فجمع له بين مقامي الفقير الصابر، والغني الشاكر، فكان حال فقره صابرًا، وحال غناه شاكرًا لله، ﷺ، ثم أمره الله تعالى أن يقابل هذه النعم بما يليق بها بالإحسان إلى من ابتلي بمثل ابتلائه ﷺ[1]، فقال:

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

أي: لا تُسيء معاملة اليتيم، بل أكرمه وأعطه ما تيسر فقد كنت يتيمًا فآواك الله، وهذا نهى لجميع المكلفين عن الإساءة لليتيم ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ ولا تنهر السائل، سواء سأل علمًا أو مالًا، فقد كنت ضالًّا عن العلم فهداك وعلمك، وكنت فقيرًا فأغناك وأكرمك.

=

وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٨)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٣٨-٤٤٣).

(١) انظر: المصدر السابق.

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية، فأثنِ على الله بما أنعم عليك، فإن التحدث بنعم الله، وإظهارها داع لشكرها، ولنحذر أن يكون التحدث بنعم الله علينا من باب الفخر والتعالي على الآخرين، أو من باب الرياء بالعلم والعمل، نسأل الله النجاة[١].

تم بحمد الله ومنته تفسير سورة «الضحى»

(١) انظر: نفس المصدر.

سورة الشرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ﴿٨﴾﴾

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾

الاستفهام في الآيات بمعنى التأكيد، فالمعنى: وسعنا لك صدرك للتوحيد والإيمان، والدعوة إلى الله، والاتصاف بمكارم الأخلاق، وفعل الخيرات، وقوة في تبليغ الدعوة، وتحمل أعباء الرسالة بصدر رحب، ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ وحططنا عنك ذنبك، وما كان من خطايا أيام الجاهلية، ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ أي: أثقل ظهرك، كما قال تعالى: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ أعلينا لك قدرك في الدنيا والآخرة، وجعلنا لك الثناء الحسن العالي، الذي لم يصل إليه أحد من الخلق، -كما قال-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والمعنى: أن الله وملائكته يثنون على النبي ﷺ في الملأ الأعلى، ثم أمر عباده المؤمنين بالصلاة عليه -أي: الثناء عليه- ولا تصح شهادة أن لا إله إلا الله إلا إذ يقول: وأشهد أن محمدًا رسول الله، وذكر اسمه مع اسم الله تعالى في الأذان، والإقامة، وفي الصلاة والخُطب، وغيرها، وجعل له في قلوب المسلمين من المحبة والتعظيم والإجلال ما ليس لأحد غيره بعد الله تعالى، وغير ذلك من الأمور التي أعلى الله بها ذكره ﷺ[1].

---

(١) انظر: بدائع التفسير (٥/ ٢٦٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٩)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٢٩٥، ٢٩٦)، وأضواء البيان (٨/ ٥٧٢-٥٧٤).

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

يخبر الله ﷻ أن مع الضيق والشدة والصعوبة يسرًا، أي: سعة وغنى، وذكر العسر في الآيتين معرفًا بالألف واللام، يدل على أنه واحد، أي: عسرًا واحدًا، وذكر اليسر في الآيتين بلفظ النكرة، يدل على أنهما يسران، وهذه بشارة من ربنا عظيمة، فلن يغلب عسر يسرين، ولله الحمد والمنة، ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها، فاجتهد في عبادة ربك وأتعب نفسك شكرًا لله على نعمه السابقة، وما وعدك به من النعم اللاحقة، ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ واجعل رغبتك ونيتك إلى الله ﷻ وحده[1].

آخر تفسير سورة «الشرح»

والحمد لله رب العالمين

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة التين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥﴾

التين هو الفاكهة المعروفة، والزيتون الثمرة المعروفة، يؤكل ويعصر ومنه الزيت، أقسم الله بهما لكثرة منافعهما وفوائدهما، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ وهو جبل الطور بسيناء، محل نبوة موسى عليه السلام، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ وهي مكة المكرمة، محل خاتم الأنبياء والمرسلين، سيد ولد آدم، رسول الله ﷺ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ أي: أنه تعالى خلق الإنسان في أحسن شكل، تام الخلقة، معتدل القامة، كامل الصورة، فالتقويم: تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون، فقد خلقه الله في أحسن ما يكون، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ ثم رده سبحانه إلى النار، في أسفل سافلين، فأكثر الناس عن طاعة ربهم معرضون، منشغلون بالدنيا وزينتها، جاحدون نعم الله عليهم، فكان جزاؤهم جهنم، إلا من عمل بطاعة الله[1]، ولذلك قال:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾

استثنى الله تعالى المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله، وشكروا نعمة الإسلام بأن عبدوا الله وحده، وترفعوا عن السفالة؛ خوفًا من الله، فرفعهم الله إلى المنازل العالية في جنة الخلد، فقال: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لهم على ما قدموا من الأعمال الصالحة في الدنيا ثواب غير مقطوع، فالجنة نعيمها

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٤٥٤، ٤٥٥)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٦٩-٢٧٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٢٩-٩٣٠).

دائم لا ينقطع عن أهلها، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ فما يكذبك أيها الإنسان بالجزاء والمعاد والحساب، بعد ما رأيت آيات الله الكثيرة، ومنها: مبدأ خلقك وصورتك، فالذي خلقك من عدم قادر على أن يعيدك، والذي جعلك في أحسن صورة -بعد أن كنت نطفة من ماء مهين في بطن أمك- لا يليق أن يتركك سُدى هملًا بلا أمر ولا نهي، ولا بيان ما ينفعك ويضرك، ولذلك قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ نعم، وحكمة أحكم الحاكمين تقتضي أن لا يفعل خلاف ذلك[1].

تم ولله الحمد والمنة تفسير سورة «التين»

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة العلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ
۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ
۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا
إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ
كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ
وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾

﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥﴾

هذه السورة، هي أول سورة أنزلها الله على رسوله ﷺ، فجاءه جبريل عليه السلام بالرسالة من عند الله، وأمره أن يقرأ، فقال له جبريل: اقرأ، قال رسول الله ﷺ: ما أنا بقارئ، فلم يزل جبريل يكرر ذلك حتى قال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾[1] اقرأ هذا القرآن مفتتحًا باسم ربك ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ جميع المخلوقات، ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ﴾ خص الإنسان من سائر المخلوقات بالذكر تكريمًا له، وذكر ابتداء خلقه من علق جمع علقة، والعلقة: هي الدم الجامد بعد النطفة، وهو من مراحل خلق الجنين في بطن أمه- فالذي جعله في أحسن تقويم من هذه العلقة قادر على أن يجعلك قارئًا، وإن لم تكن تعلم القراءة من قبل، وكذلك الذي خلق الإنسان من تلك العلقة، واعتنى بتدبير أمره، لابد من أن يبين له أمر دينه، وذلك بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، فأرسل رسوله ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين بخاتم الكتب السماوية -القرآن العظيم- ولذلك قال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ أي: اقرأ -يا رسول الله- وربك يعينك ويُفهِّمك فهو سبحانه كثير الكرم، واسع العطاء، عظيم الإحسان، ولذلك قال: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ علم الإنسان الكتابة التي يحفظ بها العلوم وقد خرج من بطن أمه لا يعلم شيئًا، فدل على كرمه -تبارك وتعالى-، بأن علم عباده ما لم يعلموا، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم، وذكر القلم الدال على الكتابة لما في الكتابة من المنافع

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٣٩٢، ٦٩٨٢)، ومسلم (١٦٠) وغيرهما.

العظيمة للخلق، والتي يصعب عدها، ويعجز عن شكرها[١]، ولذلك قال:

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢﴾

أي: ما ينبغي أن يكون هكذا الإنسان، أن يُنعِم عليه ربه بتسوية خلقه، وتعليمه ما لم يكن يعلم، ثم يكفر النعم ويطغى ويتجاوز حده، ويستكبر على عبادة ربه إذا رأى نفسه ذا مال وثروة وجاه، ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ إلى الله المصير والمرجع، وسيحاسبك على طغيانك، ويجازيك بما تستحق وفي الآية تهديد للطاغي، وتحذير من عاقبة الطغيان بالنعيم، ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ وهو أبو جهل ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ وهو محمد رسول الله ﷺ، قال أبو جهل: «لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطئن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ فقال: «**لئن فعله لأخذته الملائكة**»[٢].

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أرأيت إن كان العبد المصلي على العلم بالحق والعمل به، ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾ أو أمر بالمعروف وبتقوى الله، هل يحسن من كان بهذا الوصف أن يُنهى عن الصلاة وعن تقوى الله؟![٣].

---

(١) انظر: أضواء البيان (٩/ ١٢-١٨)، وجامع البيان (٣٠/ ٣١٧-٣٢٠)، الجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١١٩-١٢٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٩٥٨) وغيره.

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢١، ٣٢٢)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٢٤، ١٢٥)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٥٩، ٤٦٠)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٥٧-٣٥٩).

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾

أرأيت إن كذب هذا الناهي بالحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، ﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾ أعرض عن العمل الطيب، ألا يخشى الله؟!

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عما يقول ويفعل ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ معنى السفع: القبض على الشيء وجذبه بشدة، والأخذ بالناصية هنا -وهي مقدم رأس الإنسان- مثلٌ للقهر والإذلال والتعذيب والنكال ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ناصية كاذبة في قولها، خاطئة في فعلها، والمعنى لصاحبها، فهو الموصوف بهذه الصفات، ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ والنادي: المجلس الذي يجتمع فيه الناس، أي: فليدع أهل مجلسه وعشيرته حين يؤخذ من مقدم رأسه إلى النار، ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ خزنة جهنم، الملائكة ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾ لا تطع هذا الطاغي فيما ينهاك عنه من المداومة على عبادة ربك، فاسجد وصل حيث شئت فإن الله يعصمك من الناس[1]، واقترب من ربك بكثرة السجود له، قال رسول الله ﷺ: «**أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ**»[2]، وهذا عام في كل ناه عن الخير، طاغ باغ، متجرئ على معصية الله ﷻ، وإن كانت بعض آيات السورة نزلت في أبي جهل.

آخر تفسير سورة «العلق»، ولله الحمد

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) صحيح: أخرجه مسلم (٤٨٢).

سورة القدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾

يخبر الله -جل وعلا- أنه أنزل القرآن ليلة القدر، وهي في رمضان، كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]، في العشر الأواخر، وهي ليلة مباركة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣]. فكان ابتداء إنزال القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ -الذي كُتب فيه مقادير كل شيء- إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلًا في ثلاثٍ وعشرين سنة على رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ تعظيمًا لشأنها وقدرها، ثم بيَّن فضلها وعظمها فقال: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ وفضيلة الزمان إنما تكون بكثرة ما يقع فيه من فضائل، فالعمل في هذه الليلة خير من العمل في ألف شهر ليس فيه ليلة القدر[(١)].

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾

تنزل الملائكة من السماء، ويحيطون بحلق العلم والذكر، وأما الروح، هو جبريل عليه السلام ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ بأمر ربهم، ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾ بكل أمر قدره الله في تلك السنة إلى السنة التالية، ﴿سَلَٰمٌ هِىَ﴾ سالمة من كل شر، لكثرة الخير فيها ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ حتى طلوع الفجر، من ليلتها[(٢)].

تم بحمد الله تفسير سورة «القدر»

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٤٦٣-٤٦٧)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٣٠-١٣٢)، وجامع البيان (٣٠/ ٣٢٧-٣٣٠).

(٢) انظر: المصدر السابق.

سورة البينة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾

أهل الكتاب، هم: اليهود والنصارى، والمشركون: عباد الأوثان والأصنام، والجميع كفار، والمعنى: لم يكن الذين كفروا من اليهود والنصارى والمشركين ﴿مُنفَكِّينَ﴾ أي: منتهين عن كفرهم وضلالهم، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ الواضحة، ثم فسر تلك البينة فقال: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ فالبينة هي رسول الله ﷺ الذي أرسله الله ليبين للناس الحق، ويعلمهم القرآن والسُّنة، ويخرجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والهداية، فالرسول ﴿يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ يقرأ -عن ظهر قلب أي حفظًا- صحف القرآن المطهرة من الباطل، المحفوظة من الشياطين، فذكر القرآن بأحسن الذكر، وأثنى عليه بأفضل الثناء، ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ وهي سور القرآن، فكل سورة من سور القرآن كتاب قيم؛ لأن القرآن أخباره صدق، وأوامره كلها عدل، ليس فيه باطل ولا شك، كما قال ربنا: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت][1].

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾

وما تفرق واختلف أهل الكتاب -اليهود والنصارى- ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ أي: البينة الواضحة، والمُعنى به رسول الله ﷺ كما ذكرنا،

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٣٣٢، ٣٣٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٨٥-٤٨٦)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٣٩-١٤٢)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٦٦، ٣٦٧).

فالقرآن موافق لما في التوراة والإنجيل من الإخبار عن النبي ﷺ، وأنه سيبعث، فكانوا -اليهود والنصارى- مجتمعين على نبوته، فلما بُعث ﷺ جحدوا نبوته وتفرقوا، فمنهم من كفر بغيًا وحسدًا، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الشورى: ١٤]. فكانت مخالفتهم للحق -بعد بلوغه إليهم- بسبب العناد والبغي، ومن أهل الكتاب من آمن به ﷺ، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ ويظهر جُرم وعناد اليهود والنصارى أنهم ما أُمروا في القرآن إلا بما أُمروا به في التوراة والإنجيل من عبادة الله وحده.

﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ قاصدين بجميع أنواع العبادة وجه الله، ﴿حُنَفَآءَ﴾ مائلين باعدين عن الأديان كلها إلا الإسلام، ﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ﴾ وخص الصلاة والزكاة من بين سائر العبادات لفضلها، فالذي يقيم الصلاة بحضور قلب وخشوع، وحضور هيبة المعبود ربِّ العالمين، والمواظبة عليها خمس مرات في اليوم والليلة، وكذلك يخرج زكاة ماله إلى مستحقيها، يسهل عليه إقامة جميع ما شرعه الله تعالى[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾

يخبر الله -ﷻ- عن مآل الفجار الكفار من أهل الكتاب والمشركين

(١) انظر: المصدر السابق.

المخالفين لشرع الله المنزل على رسوله ﷺ: أنهم يوم القيامة ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ﴾ ماكثين فيها لا يخرجون منها ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ شر الخليقة لكفرهم بالله، بعد ما عرفوا الحق، وتبين لهم الهدى، خسروا الدنيا بمفارقتهم لها، وخسروا الآخرة بحرمانهم من الجنة ورؤية ربهم، وخلودهم في النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا أعمالًا صالحة، خالصة لله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ أفضل الخليقة، بمتابعة الحق عند معرفة الدليل، فحققوا لأنفسهم السعادة الأبدية، هؤلاء ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ جنات إقامة تجري فيها الأنهار من تحتهم، والأشجار والثمار من حولهم، لا انقطاع لهذا النعيم، ماكثين فيه أبدًا، ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ورضاه سبحانه وتعالى عنهم أعلى من جميع أنواع النعيم المقيم في الجنة، ﴿وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ رضوا بما منحهم وأكرمهم به من عظيم الأجر والثواب، ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ هذا الجزاء الكبير ليس لكل أحد، إنما هو لمن خاف الله، وعلم أنه يراه، فعبده واتقاه كما أمره ربه وخالقه ومولاه ﷻ[1].

تم بحمد الله وفضله تفسير سورة «البينة»

(١) انظر: نفس المصدر.

سورة الزلزلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾﴾

إذا تحركت الأرض واهتزت هزًّا يسقط ويدك معه كل ما عليها، من جبال أو بناء وغيره، وذلك يوم القيامة، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ أخرجت وقذفت الأرض موتاها وكنوزها ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ حين يرى هذه الأمور العظيمة، وهذا الفزع الرهيب ﴿مَا لَهَا﴾ كلمة تعجب، والمعنى: أي شيء حدث للأرض؟ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ في هذا اليوم تخبر عن عمل كل إنسان عمله عليها من خير أو شر، ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ وأن الله أمرها أن تخبر بما عُمل عليها من خير أو شر[1].

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾

في يوم البعث يخرج الناس فرقًا وأصنافًا، ما بين شقي وسعيد، ومأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار، ﴿لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فهم في ذلك اليوم يروا أعمالهم التي عملوها من قبل، فيرى المحسن في الدنيا، المطيع لربه عمله، ما أعد الله له يومئذ من الكرامة على طاعته، ويرى المسيء العاصي لله عمله وجزاء عمله، وما أعدّ الله له من الهوان والخزي في جهنم، على معصيته لله تعالى، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ فمن يعمل من أعمال البر والإحسان -وهو مؤمن، ولوجه الله- ما يزن وزن نملة يرى

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٤٩١، ٤٩٢)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٣٩٢)، وأضواء البيان (٩/ ٥٦-٥٨)، وجامع البيان (٣٠-٣٣٧-٣٣٩).

ثواب ذلك العمل هناك في الآخرة، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ ومن يعمل وزن نملة من أعمال الشر، يرى ذلك في الآخرة، فالآيات غاية في الترغيب في عمل الخير ولو كان قليلًا[١]، كما قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[٢]، ومعنى طلق: منبسطًا مبتسمًا، وغاية في الترهيب من عمل الشر، ولو كان حقيرًا، قال رسول الله ﷺ: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا، وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ**»[٣].

آخر تفسير سورة «الزلزلة»

ولله الحمد رب العالمين

---

(١) انظر: المصدر السابق.

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦) وغيره.

(٣) أخرجه البخاري (٣٣١٨).

سورة العاديات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾
فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ
﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾
۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾
إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥﴾

العاديات: هي الخيل. والضبح، هو: الصوت الذي يُسمع من الخيل عندما تجري، أقسم الله بهذا الحيوان؛ لأنه من أكرم البهائم، وهو الذي يحصل به العز والنصر على الأعداء، فقال: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ والخيل حين تجري جريًا سريعًا نحو العدو، حتى يسمع صوت أنفاسها، ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ وأقسم بها حين توقد بحوافرها النار، وذلك إذا ضربت الحجارة بحوافرها، ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ التي تُغير على الأعداء في الصباح في سبيل الله، يُقال: أغار على العدو: إذا هجم عليه، وفي الغالب تكون الإغارة على العدو وقت الصباح، لأنه وقت غفلة الناس، ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ يعني: الخيل تثير الغبار بحوافرها حين تجري، ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ فوسطن الخيل بفرسانها جمع العدو الذين أغاروا عليهم، فأقسم الله تعالى بهذا كله على حال الإنسان وجحوده لنعم ربه[1]، فقال:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

إن الإنسان لكفور، جحود يجحد نعم ربه، ولا يشكرها، أي: لا

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٤٥-٣٥١)، وبدائع التفسير (٥/ ٢٩٧-٣٠٠)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٥٤-١٦٠)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٤٩٨-٥٠٠)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٧٢-٣٧٤).

يستعملها فيما يجب عليه؛ ليتوصل بها إلى رضا الله، ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ وإنه على هذا الجحود، ومنع الخير لشهيد، وإن أنكر بلسانه، أشهد ربه عليه حاله، ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ وإنه لشديد المحبة للمال، ولذلك يبخل به، ولا ينفقه في سُبل الخير، ثم يقول سبحانه وتعالى مزهدًا في الدنيا، ومرغبًا في الآخرة، ومنبهًا على ما هو كائن بعد هذه الحياة، وما يستقبله الإنسان من أهوال، ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ إذا بعث وانتشر ما في القبور من أموات، ﴿وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ وأبرز ما في القلوب من نيات واعتقادات، وما كانوا يسرون في نفوسهم من خير وشر، ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ﴾ عالم بأسرارهم وضمائرهم وأعمالهم، وسيجازيهم على ذلك[1].

تم بحمد الله تفسير سورة «العاديات»

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة القارعة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾
يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ
ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ
مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾
نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾

﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾

القارعة من أسماء يوم القيامة، ويوم القيامة له أسماء كثيرة، ومعلوم أن الشيء إذا عظم شأنه كثرت أسماؤه، ولكل اسم من أسماء القيامة معنى خاص به، يختلف عن معاني الأسماء الأخر.

وقوله تعالى: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ القرع، هو: الضرب بشدة بحيث يحصل منه صوت شديد، وهي القيامة سُميت بذلك؛ لأنها تفزع القلوب والأسماع، لما يحدث من تغير حال العالم كله، فالسماء تنشق، والشمس تُكور، والنجوم تتناثر، والأرض تُزلزل وتتبدل، والجبال تُدك وتُنسف، ولذلك قال: ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ استفهام يُقصد به التعظيم والتفخيم لشأنها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾ وما أعلمك -يا رسول الله- أي شيء القارعة، وما يتبعها من أهوال؟ ثم بين جلَّ جلاله بعض هذه الأهوال، فقال: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ يوم يكون الناس فيه كالفراش المنتشر هنا وهناك من الاضطراب والحيرة، ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ وتكون الجبال كالصوف المنفوش لضعفه، وتفرق أجزائه، وتطايره في الجو، ومن المعلوم أن هذا اليوم تبتدئ فيه الحياة الآخرة، وفيه تعرف مقادير الأعمال، وجزاء كل إنسان[1].

---

(١) انظر: أضواء البيان (٩/ ٧٠-٧٢)، وجامع البيان (٣٠/ ٣٥٨، ٣٥٩)، وتفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٤، ١٦٥)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٧٦، ٣٧٧).

لذلك قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

فأما من ثقلت موازين حسناته على سيئاته، ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ في عيشة قد رضيها في الجنة، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ أي: خف وزن حسناته، ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾ الهاوية: النار، فهي أمه ومأواه ومقره، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ﴾ هذا تعظيم لأمرها ثم فسره بقوله: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾ حارة شديدة الحرارة، أجارنا الله منها برحمته وفضله وكرمه[1].

آخر تفسير سورة «القارعة»

ولله الحمد

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة التكاثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾

شغلكم التباهي والفخر بكثرة الأموال والأولاد، وشرف الآباء والأجداد، وغير ذلك من أمور الدنيا، التي تصرف القلب عن الجد والاجتهاد في العمل للآخرة، ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ حتى هلكتم ومتم وصرتم إلى المقابر فدفنتم فيها، فالميت يأتي إلى القبر كالزائر؛ لأن وجوده فيه مؤقتًا، وقد حذر ربنا -جلَّ وعلا- من الانشغال بالدنيا، كقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ [المنافقون]، وغيرها من الآيات.

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ وهذا تهديد ووعيد شديد؛ لأن العرب إذا أرادت التغليظ والتخويف كرروا الكلمة مرتين، وتنبيه على أن العاقل لا ينبغي له أن تكون الدنيا أكبر همه[1].

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾

أي: لو علمتم علمًا حقيقيًّا أن الله باعثكم يوم القيامة من قبوركم للحساب، لما ألهاكم التكاثر عن طلب الآخرة، والعمل لها بإخلاص

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٥٠٧-٥٠٩)، وأضواء البيان (٩/ ٧٦، ٧٧)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٨٧-٣٨٩)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٣، ٩٣٤)، وتفسير الطبري (٣٠/ ٣٦٢-٣٦٥).

وصدق، ولسارعتم إلى عبادته، ولتركتم الدنيا إشفاقًا على أنفسكم من العقوبة، ﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾ لترون النار يوم القيامة بأبصاركم، ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴾ قيل: هذا الكافر، يرى النار رؤية يتيقن أنه سيلقى فيها، كقوله تعالى: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الكهف]، ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ أي: سوف تسألون يوم القيامة عن النعيم الذي منَّ الله عليكم بها -من صحة ومال، وأولاد، وغير ذلك مما يصعب عده- هل قابلتم هذه النعم بالشكر، وأداء ما فرض الله عليكم، أم ألهاكم التكاثر بها عن شكرها؟[1].

تم بفضل الله تفسير سورة «التكاثر»

(١) المصدر السابق.

سورة العصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾

العصر: اسم للدهر كله -الليل والنهار- وليس المقصود بالعصر الوقت الذي قبل المغرب.

أقسم الله تعالى بالعصر -وهو زمن الأعمال الرابحة والخاسرة- على أن كل إنسان ﴿لَفِي خُسۡرٍ﴾ خسارة وهلاك، إلا من اتصف بأربع صفات: الإيمان والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾

آمنوا بالله ورسوله ﷺ، وهو التصديق بكل ما جاء في القرآن، وأخبرنا به نبينا ﷺ، وهذا يحتاج إلى علم.

﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ والعمل الصالح يشمل جميع أعمال الخير والبر، وأعظم الأعمال على الإطلاق الإقبال على القرآن وتفهمه وتدبره، واستخراج كنوزه، بحضور مجالس العلم، وقراءة كتب تفسير القرآن -الصحيحة- وعلوم القرآن، فالقرآن كفيل بإصلاح دنياك وآخرتك، إذا كانت النية صالحة.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: يوصي بعضهم بعضًا بالحق، وهو الإيمان والعمل الصالح، وحث بعضهم بعضًا على ذلك.

﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ وأوصى بعضهم بعضًا بالصبر على الطاعة، فلا يمل ولا يفتر عن أداء الواجبات، والصبر عن المعصية فلا يقربها، والصبر على أقدار الله، وإن كانت مؤلمة.

واعلم أن رأس مال الإنسان عمره، كُلف بأعمال يعملها فترة حياته، وهذه الأعمال كالتجارة، إن كانت في خير ربح، وإن كانت في شر خسر، ويدل لهذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝١٢﴾ [الصف][1].

تم بحمد الله تفسير سورة «العصر»

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٧١-٣٧٣)، وبدائع التفسير (٥/ ٣٢٥-٣٣١)، وتفسير ابن كثير (٥١٦، ٥١٧)، وأضواء البيان (٩/ ٨٧-٩٨).

سورة الهمزة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾
يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ
أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ
﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾

الهمز: باليد والعين والإشارة، واللمز: باللسان، والمعنى: وعيد وعذاب شديد للذي يغتاب الناس، ويطعن فيهم، ويُصغِّرهم ويحقر من شأنهم بالهمز واللمز، ومن صفات هذا الطعان المغتاب جمع المال، قال: ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾ الذي جمع مالًا وأحصى عدده، ولم ينفقه في طاعة الله، ولم يؤد حق الله، شحًّا وبخلًا، ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ يحسب بجهله أن ماله الذي جمعه وأحصاه وبخل بإنفاقه، يتركه خالدًا في الدنيا، فيبقى حيًّا لا يموت[1].

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾

ليس الأمر، كما تصور هذا الجاهل الهماز اللماز، بل هو هالك ومعذب على معاصيه، قال: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾ ليقذفن يوم القيامة في الحطمة، والحطمة: اسم من أسماء النار، وقيل: إنها سُميت بذلك؛ لأنها تُحطِّم من ألقي فيها، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ تهويل لأمرها، ثم فسر ما هي، فقال: ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ﴾ هي النار التي تُنسب إلى الله؛ لأنه هو مُنشئها وخالقها، ولا يعلم شدة سعيرها إلا هو، سبحانه، قال: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤]، ﴿ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ﴾ تحرق كل شيء في

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٣٧٤-٣٧٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥١٨، ٥١٩)، والجامع لأحكام القرآن (٢٠/ ١٨١-١٨٣).

الأجساد، حتى تطلع إلى القلوب، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ أي: مغلقة، ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ في أعمدة ممتدة طويلة، فهم معذبون في هذه الأعمدة في جهنم، لا يخرجون منها، نسأل الله العفو والنجاة من عذاب النار[1].

آخر تفسير سورة «الهمزة»

ولله الحمد والمنة

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة الفيل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾

الخطاب للنبي ﷺ، والمعنى: أما رأيت قدرة الله وعظمته، وما فعله بأصحاب الفيل -وهم قوم من الحبشة نصارى، رئيسهم أبرهة- كانوا قد عزموا على هدم الكعبة، ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وخيَّب سعيهم، قال: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ﴾ وجعل مكرهم وسعيهم لتخريب الكعبة في تضييع وإبطال، بأن دمرهم أشد تدمير ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ وأرسل عليهم طيرًا في جماعات متفرقة، يتبع بعضها بعضًا من نواح شتى، ﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ ترميهم -أي جماعات الطير- بحجارة من طين متحجرة ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته البهائم، فرد الله كيدهم، وحمى الكعبة من شرهم، وهذا في السنة التي ولد فيها رسول الله ﷺ[1].

تم ولله الحمد تفسير سورة «الفيل»

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٨١-٣٩٢)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٨٦، ٣٨٧)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥٢١-٥٣١)، وأضواء البيان (٩/ ١٠٣-١٠٨).

سورة قريش

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾
فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ
وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾﴾

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾

الإيلاف: من الإلف والتعود، وكان لقريش رحلة في الشتاء لليمن، ورحلة في الصيف للشام، لأجل التجارة والمكاسب، ولولا هاتان الرحلتان ما تمت مصالحهم ولا تجارتهم، والمعنى: أن الله ﷻ جعلهم يألفون هاتين الرحلتين، ويسرهما لهم، وهذه نعم عظيمة، لذلك أرشدهم سبحانه إلى شكرها، فقال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ أي: فليوحدوا الله، ويعبدوه وحده، ويتركوا عبادة الأوثان التي وضعوها حول الكعبة، فعبدوها وتركوا عبادة الله الواحد الأحد، وهو رب البيت ورب كل شيء، ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ أطعمهم بعد جوع، بسبب هاتين الرحلتين، ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ من عدو يخوفهم، فسعة الرزق، والأمن من الخوف، من أعظم النعم التي يجب على العبد شكرها[1].

آخر تفسير سورة «قريش»

ولله الحمد

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٩٣-٣٩٩)، ومحاسن التاويل (٧/ ٣٩٣، ٣٩٤)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥٣٢-٥٣٤).

سورة الماعون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾﴾

الخطاب للنبي ﷺ، ولكل عاقل، والمعنى: هل عرفت الذي يكذب بثواب الله وعقابه، فلا يُطيعه في أمره، ولا ينتهي عما نهى عنه، ثم بيَّن جلَّ ذكره صفات هذا المكذب، فقال: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ يقهر اليتيم، ويدفعه ولا يرحمه، ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ ولا يحث غيره على إطعام المحتاج إلى الطعام من الفقراء والمساكين، بل لقسوة قلبه يبخل أن يسعى لإغاثة البؤساء[1].

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾

هذا وعيد شديد للمصلين، الذين يسهون عن أداء الصلاة، والمحافظة عليها، وإتمام ركوعها وسجودها، وليس المقصود بالسهو، السهو في الصلاة، فهذا لم يسلم منه أحد.

فهذا الوعيد الأكيد لمن صلى، ولم يهتم بإقامة الصلاة، كما أمر الله تعالى، فكيف بعقاب من ترك الصلاة؟!

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ الناس بصلاتهم إذا صلوا؛ لأنهم لا يصلون رغبة في الثواب، ولا خوفًا من العقاب، إنما يريدون المدح والثناء على أعمالهم، وهذا هو الرياء، ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ يمنعون ويتركون معاونة

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٤٠٠، ٤٠١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥٣٥، ٥٣٦)، ومحاسن التأويل (٧/ ٣٩٥).

الناس، وأصل المعاون من كل شيء منفعته، فهم يمنعون المنافع التي ينتفع بها الناس بعضهم من بعض، من مال وغيره[١].

آخر تفسير سورة «الماعون»

ولله الحمد والمنة

(١) انظر: المصدر السابق.

سورة الكوثر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾

يقول الله -تبارك وتعالى- لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أي: الخير الكثير، ومن هذا الخير نهر الكوثر الذي في الجنة، حافتاه قِباب اللؤلؤ المجوف، طينه مسك[١]، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل[٢]، أنيته كعدد النجوم[٣]، ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ أي: كما أعطاك الله الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنه ذلك النهر، فاجعل صلاتك كلها لربك خالصًا، وكذلك نحرك أي: ذبحك كله لله، وهذا من الربط بين النعم وشكرها، فكل نعمة يلزمها شكر، وكل شكر على نعمة هو قيد لها، أي: فلا تذهب ولا تزول ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ إنه مبغضك الذي يكرهك -يا رسول الله- ويكره ما جئت به من الهدى والحق هو الأبتر، والبتر هو: القطع، وكانوا في الجاهلية إذا مات أبناء الرجل الذكور قالوا: أبتر، فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا: بُتر محمد، فأنزل الله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾، فأبقى الله -تعالى- ذكره ورفع قدره، وأعزه بنصر دينه، وأوجب شرعته على العباد إلى أن تقوم الساعة، وصلى الله عليه وملائكته، وأمر المؤمنين بالصلاة عليه، وغير ذلك الكثير، وهل علمنا أن أحدًا من البشر رُفع ذكره كما رُفع ذكر نبينا ﷺ؟![٤].

تم بحمد الله تفسير سورة «الكوثر»

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٩٦٤، ٦٥٨١، ٦٢١٠).

(٢) انظر: مسند الإمام أحمد (٣/ ٢٢٠) وغيره.

(٣) انظر: صحيح البخاري (٤٩٦٥).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٥٤٢-٥٥١)، وجامع البيان (٣٠/ ٤١٤-٤٢٨) وأضواء البيان (٩/ ١٢٦-١٣١).

سورة الكافرون

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝٦﴾

أمر الله تعالى رسوله ﷺ في هذه السورة بالبراءة من دين المشركين، فقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: قل للكافرين، والخطاب لكفار قريش، والآي تشمل كل كافر على وجه الأرض، ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ لا أعبد الأصنام والأوثان التي تعبدوها -في الحال، ولا في المستقبل- ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ ولا أنتم عابدون ما أعبده، وهو: الله الواحد الأحد، لا شريك له، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ ولا أعبد ما عبدتم -في الماضي- من الآلهة المزعومة، وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ أي: ولا أنتم تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل اخترعتم شيئًا من تلقاء أنفسكم لم يأذن به الله، فلا معبود إلا الله -تبارك وتعالى-، ولا طريق لعبادته عبادة صحيحة إلا باتباع ما جاء به رسول الله ﷺ، ولهذا قال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ أي: الكفر، وقد ختم الله على قلوبكم، فلن تتركوه، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ ولي دين الذي أنا عليه، ولن أتركه أبدًا، والآية ليس فيها تقريرهم على دين الكفر -معاذ الله من هذا الزعم الباطل- إنما الآية براءته ﷺ من دين الكفار، وقيل التهديد والوعيد[1].

آخر تفسير سورة «الكافرون»، والحمد لله رب العالمين

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٤٢٩-٤٣١)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥٥٤-٥٥٦)، وبدائع التفسير (٥/ ٣٤٥-٣٥٥)، وأضواء البيان (٩/ ١٣٢-١٣٦).

سورة النصر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾

هذه السورة فيها بشارة بالفتح والنصر، لرسول الله ﷺ والمسلمين، وبشارة بدخول الناس في دين الله، وإشارة إلى اقتراب أجله ﷺ، والمعنى: إذا جاء نصر الله -يا رسول الله- على قومك من قريش، ﴿وَالْفَتْحُ﴾ فتح مكة، ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ﴾ من العرب وقبائلها، عند فتح الله لك البلاد، ونصرك على أعدائك ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ جماعات، فوجًا بعد فوج، فإن أحياء العرب كانت تنتظر ولا يدخلون الإسلام، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله على رسوله مكة، كانوا يسلمون أفواجًا[1].

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ فنزه ربك وعظمه، وهذا التسبيح والتنزيه والتعظيم يكون بحمده، والثناء عليه؛ لأنه أتم نعمته عليك بمجيء النصر لك وللمؤمنين ولدينك، ومجيء الفتح العام على المسلمين من الله، وهذه نعمة تستوجب الشكر، والحمد لله تبارك وتعالى، والآية علامة لاقتراب أجل رسول الله ﷺ، كما رُوي عن ابن عباس رضي الله عنهما[2] أنه لما سئل عن هذه الآية، قال: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ فذلك علامة أجلك.

﴿وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ واطلب منه المغفرة، فهو الذي يقبل

(١) انظر: صحيح البخاري (٤٣٠٢).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٩٧٠، ٤٢٩٤).

التوبة من عباده، وإذا كان رسول الله ﷺ وهو المعصوم يؤمر بالاستغفار، فما الظن بغيره؟ وكان رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**»[١]. وكان أيضًا يكثر أن يقول قبل أن يموت: «**سبحانك اللهم وبحمدك، أستغفرك، وأتوب إليك**»[٢][٣].

تم بحمد الله ومنه تفسير سورة «النصر»

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٨)، ومسلم (٤٨٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢١٨-٤٩٤) وغيره.

(٣) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٤٣٢-٤٣٧)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٦)، وأضواء البيان (٩/ ١٣٧-١٤٢).

سورة المسد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾﴾

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾

التب: الخسارة، والهلاك، والمعنى: أن أبا لهب -وهو عم النبي ﷺ- كان شديد العداوة والكراهية والأذية للنبي ﷺ- أهلك نفسه بفساد اعتقاده وكفره، وسوء أفعاله، فذمه الله بهذا الذم العظيم، فهو خزي له في الدنيا والآخرة، فقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ خسرت يداه وشقي، وخاب سعيه وعمله، ﴿وَتَبَّ﴾ وتحقق خسارته وهلاكه، ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ ما دفع عنه عذاب الله ما عنده من المال، ولا ما كسب من مال وجاه، وولد ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ سيدخل نارًا عظيمة ذات اشتعال، ولهب واحتراق شديد.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ۝٥﴾

وستدخل معه النار زوجته -وهي أم جميل- لأنها كانت في الدنيا عونًا لزوجها على كفره، وجحوده وعناده، وأذيته لرسول الله ﷺ، فكانت تحمل الشوك وتضعه في طريق رسول الله ﷺ[1] ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ في عنقها -رقبتها- حبل من ليف تساق به إلى نار جهنم.

وقال العلماء: في هذه السورة معجزة ظاهرة، ودليل واضح على صدق نبوته ﷺ فقد نزلت السورة وفيها إخبار الله تعالى عن أبي لهب وزوجته

(١) وهذا اختيار الطبري، وابن كثير لتفسير الآية.

بالشقاء والعذاب، وعدم الإيمان، والموت على الكفر، ودخولهما النار، ما أخبر الله به في القرآن فما آمن أبو لهب، ولا زوجته، سبحان الله العليم الخبير الحكيم[١].

آخر تفسير سورة «المسد»

ولله الحمد

(١) انظر: تفسير الطبري (٣٠/ ٤٣٨-٤٤٥)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥٦٥-٥٧٠)، وأضواء البيان (٩/ ١٤٣-١٤٦).

سورة الإخلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

قل قولًا صادقًا جازمًا ليس فيه شك، أن الله واحد، لا شبيه له، ولا نظير، وليس له صاحبة، ولا ولد ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ أي: السيد الذي لا أحد فوقه، والمتناهي في السؤدد -أي: السيادة- فهو سبحانه الأحد المنفرد بالكمال والجمال في الصفات والأفعال، له الأسماء الحسنى، والصفات العُلا، فهو العليم الذي كمل علمه، والرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، والكريم الذي كمل له جميع معاني الكرم وهكذا في جميع صفاته، فالصمد: الذي يلجأ إليه الخلق جميعًا في حاجاتهم، ولا يحتاج هو إلى أحد، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ لكمال غناه، ولاستغنائه عن جميع المخلوقات، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ لم يكن له ولن يكون له مثل، ولا ند، لا في أسمائه، ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو سبحانه كما أخبر عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١][1].

تم بحمد الله تبارك وتعالى تفسير سورة «الإخلاص»

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٤٤٦-٤٥٣)، وتفسير ابن كثير (١٤/ ٥٨٤-٥٨٧)، وأضواء البيان (٩/ ١٤٧-١٥٦)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٧).

سورة الفلق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾﴾

أعوذ: ألتجئ وأعتصم، وأتحرز، أي: الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك منهن، والمعنى: قل متعوذًا ﴿بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ بالرب تعالى الذي فلق الصبح، أي: يفلق ظلمة الليل بضياء الصبح، شيئًا فشيئًا، حتى تذهب الظلمة كلها، فإن الفلق: هو الصبح الذي هو بداية ظهور النور، ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من شر جميع المخلوقات من الإنس، والجن، والحيوانات، فيُستعاذ بالله من شر كل ذي شر ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ الغاسق: الليل، وقب: أي: دخل، والمعنى: فالجأ إلى الله، واعتصم به، أن يعيذك من الشرور، التي تكون مع دخول الليل، من انتشار الشياطين[1]، واللصوص وكل ما يظهر من شر في الليل، ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ أي: السواحر والسحرة، أي: واستعذ بالله من شر السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط، وينفثن عليها، حتى يتم ما يرون من السحر، وذلك بالاستعانة بالأرواح الخبيثة -الشياطين- والنفث: هو النفخ مع ريق، والسحر يكون من الرجال والنساء، وإن كان ظاهر الآية أنه يتم بواسطة النساء السواحر، ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ والحاسد: هو الذي يتمنى زوال النعمة عن المحسود، والمعنى: فاستعذ بالله تعالى من شر نفس هذا الحاسد الخبيثة، ومن شر عينه، فإذا خطر على باله وفكر في المحسود -وإن لم يره- انبعثت

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٢٨٠)، ومسلم (٢٠١٢).

نار الحسد من نفسه، وتوجهت إلى المحسود، فيتأذى المحسود، إن لم يستعذ بالله، ويتحصن به، ويحافظ على الأذكار والدعوات[١].

آخر تفسير سورة «الفلق»

ولله الحمد رب العالمين

(١) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٤٥٤-٤٦٠)، وأضواء البيان (٩/ ١٥٨-١٦٣)، وتيسير الكريم الرحمن (ص ٩٣٧)، وبدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ١٧١)، وبدائع التفسير (٥/ ٣٧٣) وما بعدها.

سورة الناس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

أي: التجأ واعتصم ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ الذي خلقهم، ورزقهم، والذي يربيهم بقدرته وحكمته، ومشيئته وتدبيره، والله تعالى رب كل شيء، ولكن إضافته هنا الناس، إشعار بمزيد اختصاص ورعاية لعبده، الذي أمره أن يستعيذ به من عدوه، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ يتصرف فيهم بما شاء، فالكل مملوك له، لا مالك لهم غيره -تبارك وتعالى- ﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ معبودهم، فلا يستحق العبادة غيره، وما خلقهم إلا من أجل عبادته وحده، قال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فإذا كان الله ﷻ وحده هو ربنا، وملكنا وإلهنا، فينبغي أن نلجأ إليه وحده أن يعصمنا، ويُنجينا ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾ والوسوسة، كالوشوشة، فنستعيذ بالله من شر وساوس الشيطان ﴿ٱلْخَنَّاسِ﴾ الذي يتأخر، فمن عادته أن يخنس ويتأخر، إذا ذكر العبد ربه، ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ إذا غفلوا عن ذكر الله، فيزين لهم الباطل، ويقبح لهم الحق، فإذا ذكروا الله خنس، فإن القلب يكون فارغًا من الشر والمعصية، فيوسوس إليه الشيطان، ويزين له الذنب، ويُمنيه ويرغّبه فيه، حتى يصير شهوة، فينسى ضرر الذنب، ويغفل عن سوء عاقبته، فلا يرى إلا صورة المعصية، والتمتع بها فقط، فأصل كل معصية إنما هو الوسوسة، وهذه الوسوسة تكون ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ فالموسوس نوعان: إنس وجن، فإن الوسوسة هي:

الإلقاء الخفي في القلب، وهذا مشترك بين الجن والإنس، وقد علمنا وسوسة الجن، أما وسوسة الإنس: تكون عن طريق الأذن[١].

تم بحمد الله تفسير سورة «الناس»

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١٤/ ٦٠٠-٦٠٤)، وأضواء البيان (٩/ ١٧١-١٨٢)، وبدائع التفسير (٥/ ٤٣٩-٤٦٤)، وتيسير الكريم الرحمن (ص٩٣٧، ٩٣٨).

الفهرس

تقديم ٤
المقدمة ٥
سورة الفاتحة ٩
سورة الملك ١٤
سورة القلم ٢٥
سورة الحاقة ٣٨
سورة المعارج ٤٩
سورة نوح ٥٩
سورة الجن ٦٨
سورة المزمل ٧٨
سورة المدثر ٨٥
سورة القيامة ٩٧
سورة الإنسان ١٠٥
سورة المرسلات ١١٥
سورة النبأ ١٢٤
سورة النازعات ١٣٣
سورة عبس ١٤٣
سورة التكوير ١٥٠
سورة الانفطار ١٥٧

سورة المطففين ١٦٢
سورة الانشقاق ١٦٩
سورة البروج ١٧٤
سورة الطارق ١٨٠
سورة الأعلى ١٨٤
سورة الغاشية ١٨٩
سورة الفجر ١٩٤
سورة البلد ٢٠١
سورة الشمس ٢٠٦
سورة الليل ٢١١
سورة الضحى ٢١٥
سورة الشرح ٢١٩
سورة التين ٢٢٢
سورة العلق ٢٢٥
سورة القدر ٢٢٩
سورة البينة ٢٣١
سورة الزلزلة ٢٣٥
سورة العاديات ٢٣٨
سورة القارعة ٢٤١
سورة التكاثر ٢٤٤

سورة العصر ٢٤٧
سورة الهمزة ٢٥٠
سورة الفيل ٢٥٣
سورة قريش ٢٥٥
سورة الماعون ٢٥٧
سورة الكوثر ٢٦٠
سورة الكافرون ٢٦٢
سورة النصر ٢٦٤
سورة المسد ٢٦٧
سورة الإخلاص ٢٧٠
سورة الفلق ٢٧٢
سورة الناس ٢٧٥
الفهرس ٢٧٨